

هنري برجسون ومنبع الدين دراسة ، تحليل ، نقد

د.خادم حسين إلهي بخش
أستاذ بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الطائف. السعودية.

Abstract

After the Renaissance movement of the west, there rose many a prominent philosopher and sociologist who presented controversial views on history, civilization, religion and even the beginning of humanity. They are considered to be the great contributors to development of modern thought in the west. Henry Burgasan is one of them. This article is a critical and analytical study of Henry's concept of religion and its source. Henry's views on formation and source of religion have been countered in the light of his books in this article.

برجسون حياته و عصره

1- ولادته وطفولته :

تتفق المصادر التي بحثت عن حياة هنري برجسون أنه وُلِدَ في حي بسكال في باريس بفرنسا في 18 أكتوبر 1859م من أبوين يهوديين، حَمَلَ والده الجنسية الفرنسية بالاتفاق. بينما تنسب بعضُ المصادر جنسية أمه إلى الإنجليز، ويقوي هذا التوجه لمكثها الطويل في أيرلندا ، وتَلَقَّيْهَا تربية إنجليزية (1) ويمكن رؤية هذا الأثر في ولدها هنري ، إذ لم يكتب كلمة مشينة تجاه الإنجليز في كل أبحاثه رغم إساءة الإنجليز إلى الفرنسيين.

وما زال العداء قائماً بين الفرنسيين و الإنجليز حتى هذا اليوم ، فرغم إجادة الفرنسي للغة الإنجليزية يَمَقْتُ التحدث بها، ولا يعيرها أي اهتمام في الظاهر. ومثل ذلك تجده في الإنجليزي الذي يجيد التحدث بالفرنسية ، يمقت التحدث بها ولا يعطيها أي وزن. فأمه البريطانية هي التي أخضعت له ناصية اللغة الإنجليزية ، وأشرفت على تثقيفه بثقافتها فلها الفضل بعد الله عزوجل ، فيما عاد عليه من الشهرة العالمية لإتقانه الإنجليزية .

ولد برجسون في جو استقر فيه إنكار وجود الله ، من الباحثين والمكتشفين لسنن الله في الكون (العلوم الطبيعية)، وذلك لمعاداة الكنيسة للعلم المادي والعلماء المكتشفين للسنن الإلهية ، التي يُسَيِّرُ الله بها الكون .

ويعود هذا العداء الذي ورثه برجسون إلى ما قبل ولادته بثلاثة قرون، حين قال كوبرنيكوس (2) وجردانوبرونو (3) وجاليليو (4) بكروية الأرض، فاستنتجهم العلمي هز الكنيسة هزاً ، إذا وجدت نتائج ما توصل إليه الثلاثة، يعارض ما تدين به الكنيسة، في ضوء نصوص التوراة التي بين أيديهم، فإنها تقول باستواء الأرض ، وإنها مركز الكون ، وإن الإنسان مركز الوجود .

2. نشأته العلمية :

تلقى برجسون تعليمه الأوّلي في مدرسة ليسيه كوندرسيه ، فما أتم تعليمه التأسيسي حتى التحق بمعهد المعلمين العليا ، وكانت علامات النبوغ العلمي قد ظهرت على نتائجه التحصيلية ، ولاسيما في الرياضيات والعلوم الكونية ، فقد فاز بجائزة الرياضيات لمجلة حوليات الرياضة سنة 1877م .

ويبدو أن المعهد بطرف خفي وجّه برجسون إلى تلقي العلوم الأدبية ، رغم ميوله الفطرية إلى الرياضيات والعلوم ، لقدرته الفائقة على التحليل وتوجيه المظاهر المختلفة، حتى تنسجم مع التوجه العام الذي يُسيّرُ الحياة الأوربية كلها. وجاء تشجيع المعهد لبرجسون بالالتحاق بقسم الآداب عن طريق زملائه المقربين أمثال جان جوريس Jean Jaures وموريس بلوندل M. Blondel

olle laprune وإميل بوترو E.Botroux.

وهذا ما شجع برجسون على الاطلاع على الآداب القديمة ، لاسيما الأدب اليوناني القديم ، ولحاجته إلى المال وَظَفَه المعهد في مكتبته لتنظيم الكتب، وعهد إليه بمنصب أمين المكتبة .
ويبدو ممن زار المكتبة في عهده أن الرجل لم يكن مكثرًا بعمله ، فقد دخل عليه أحد أساتذته فوجد حوله مئات المجلدات المبعثرة فلأمه على ذلك قائلاً : (ألا تتألم نفسك كأمين للمكتبة) فأجاب عنه طلاب المعهد قائلين:(وهل لبرجسون نفس حتى تلومه) (5) .

ويظهر أن هذه الفترة هي فترة المزج عند برجسون بين العلوم الكونية، المبنية على التجارب الحسية الملموسة ، والآداب المبنية على التجارب النفسية.

وأعظم من تأثر بهم برجسون في هذا المزج مع تعديل يسير في المنهج، هو هربرت اسبنسر H-Spencer ، فقد اقتنعت نفسه بنظرية التطور السبنسرية، وأنها القول الحق الذي لا يجوز تجاوزه ، وزاده قناعة بعد اطلاعه على رأي اسبنيزا ، وشوبنهور وبركلي المقتنعين بالتطور (6) .

هذا وقد نال برجسون شهادة معهد المعلمين (اجرجاسيون) عام 1881م، وأهلته هذه الشهادة إلى أن يدلى بدلوه في القضايا

3- عمله :

ما أن تخرج برجسون في معهد المعلمين عام 1881م ، حتى عُيِّن كأستاذ للفلسفة في بليسيه انجيه (Angers) وبدأت شهرته تتعدى فرنسا، وإنَّيَّله الترقية عام 1883م نقل إلى ليسيه كليرمون .Clermont-Ferrand

وظل الرجل يرتقي في سلم العلم درجة درجة حتى نال درجة الدكتوراه ، من جامعة سوربون عام 1889م ، وكان عنوان رسالته (رسالة في معطيات الشعور المباشرة) وأضاف إليها رسالة فرعية عَنَوَّنَهَا ب (فكرة المحل عند أرسطو) بين فيها سقطات أرسطو بأدلة نفسية .

وقد عادت عليه الرسائلان بصيتٍ عمّ فرنسا كلها . وبدأت الأنظار تتجه إليه في الأوساط الجامعية ، وكان للصحافة الفرنسية الدور الأكبر في إبراز شخصيته ، وإعطائها وزناً أكثر مما يستحقه .

لم يحل التدريس بين برجسون وبين مواصلة البحث ، فجاءت باكورة إنتاجه باسم (حريتنا البشرية وصلتها بالآلية الكونية) ويعني بذلك : هل البشر مخيرون أو مسيرون في الحياة العاجلة ، وأتبعها في سنة 1897م ببحث أخذ من وقته أكثر من خمس سنوات ، ووَسَمَهُ باسم (المادة والذاكرة). (7)

وفي سنة 1898م نال الترقية الثانية ، فُنُقِل إلى مدرسة المعلمين العليا، وتتلذذ عليه أعلام الفلسفة الفرنسيين : مثل هلفاكس Halbwachs ، وشارل بلوندل Ch. Blondel ، وهنري فالون H.wallon ، والبربايه A.Bayet ، وظل الرجل في المدرسة مدة سنتين ، ثم اختير في سنة 1900م كأستاذ للفلسفة القديمة، في كالج دي فرانس Collège de France ، أكبر معاهد فرنسا على الإطلاق ، وظل في هذا الكرسي مدة أربع سنوات ، وما أن مات جبريل تارد Gabriel Tarde أستاذ الفلسفة الحديثة حتى حل برجسون محله.

أكسبه التدريس في الكالج مكانة اجتماعية في جميع طبقات الشعب ، فكان يتهافت على محاضراته المثقفون وغير المثقفين ، لذيوع صيته في أرجاء المعمورة، وكانت الناس تتدافع بالمناكب للدخول إلى قاعة محاضراته ، ولم يكن الكالج يمنع أحداً من الاستماع إليه ، بغض النظر عن أنه يدرس عنده أو لا يدرس عنده. وربما أسلوبه الساحر، واستعمال لغة سهلة وضرب الأمثلة الواقعية كانت سبباً لجلب مثل هذا الجمهور، ومن ألصق تلاميذه الذين لازموا إدوارد ليرو Edouard Le Roy ، وجاك شقاليه J. Chevalier ، وشارك بيجي Charles Peguy.

وأهم الموضوعات التي طرقها في محاضراته في الكالج فكرة الزمان عند القدامى والمحدثين ، تطور النظريات المتصلة بالذاكرة والإرادة والحرية ، طبيعة الروح ، العلاقة بين الفكر

4 - مكانته بين أقرانه ومناصبه :

انتخب برجسون سنة 1901م عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية بالكالغ، ثم عضواً بالأكاديمية الفرنسية ، مكافأةً لجهوده في خدمة العلم والمجتمع، فذاع صيته وبدأت الطلبات تنهال عليه لإلقاء المحاضرات في دول العالم، ففي 26 ، 27 مايو 1911م ألقى محاضرتين في جامعة أكسفورد عن إدراك التغيير، و أتبعهما بمحاضرة في مدينة برمنجهام البريطانية في 29 مايو 1911م، تحت عنوان الشعور والحياة ، وألقى محاضرة عامة في مؤتمر الفلسفة العالمي ببولونيا سنة 1911م ، تحت عنوان الحدث الفلسفي .

وطالبتة جامعة كولومبيا بنيويورك لإلقاء دروس عامة تحت عنوان الحرية والروح، أضف إلى ذلك أن الرجل شارك في الدفاع عن بلده - فرنسا - في الحرب العالمية الأولى، حين لبّى دعوة حكومته بالقيام بمهمة رسمية في أسبانيا وأميريكيا، أملاً في بذل الجهود العالمية في إعادة السلم إلى بلاده أولاً ، وإلى العالم ثانياً.

وما أن وضعت الحرب أوزارها سنة 1918م، وتألّفت جمعية الأمم وتكونت لجائها المتعددة ، حتى عُرضَ الأمرُ على برجسون في سنة 1919م ليُرأس لجنة التعاون الفكري التابعة لها ، فبادر بإجابة الطلب ، فأدار جلساتها المتكررة بحنكة وبصيرة ، وظل في هذا المنصب حتى سنة 1925م ، فأجبرته صحته على التنازل عن رئاسة هذه اللجنة ، ولعل جائزة نوبل في الآداب التي نالها سنة 1928م أدخلت إليه بعض السلوان ، ورفعت عنه كابوس المرض الذي ألزمه الفراش ولو لبعض الوقت (8) .

5- مؤلفاته:

يجزم الباحثون أن أول مؤلفات برجسون الرئيسة، ظهر على الملأ جاء تحت عنوان (الزمان والإرادة الحرة) وظهر في الأسواق سنة 1888م ، وإن كنت لا تُعَدُّم أبحاثاً ومحاضرات مختصرة سبقت هذا المؤلف بزمن غير يسير.

وقد ناقش فيه فكرة الزمان والمكان وصلتهما بدوام الحياة، وكان كتابه هذا توطئة لأطروحة الدكتوراه (رسالة في معطيات الشعور المباشرة)، وفيها حاول الفصل بين الزمان والمكان وإعطاء كل منهما أوصافاً محددة ، كثيراً ما خلط الفلاسفة بينهما ، واختصت رسالته الفرعية (فكرة المحل عند أرسطو) ببيان سقطاته في تحديد المكان والأوصاف الخاصة به .

وفي الرسالتين يحاول الرجل حل معضلة المادة الجامدة ،
ومصارعة الحياة لها بالتححرر ، لذا اختار عنوان رسالته الأساسية
عند طبعتها الإنجليزية عنوان (الزمان والحرية).

وظهر كتابه (المادة والذاكرة) سنة 1897م ، حاول فيه
برجسون الجمع بين حرية العمل الذي يقوم به الإنسان وبين الآلية
الكونية التي تُسَيَّرُ عليه المادة. ولا شك أن كتابه هذا أعقد كتبه
على الإطلاق لفظاً وفهماً وتقديماً للمعلومات ، لذا لم ينل من
النجاح ما ناله (الزمان والحرية).

ويبدو من كتابه (الضحك) المختص بالهزل والهزء ، أنه
جاء كرد فعل لرفض الجمهور أسلوبه المعقد ، فقدم كتابه الضحك
سنة 1904م ، وحلل فيه ظاهرة الضحك ، وبين أسبابها والعوامل
التي تَكْمُنُ وراء هذا الانفعال ، وتقدم إلى الجمهور بما يتناسب مع
عقليته ، بضرب الأمثلة الواقعية المتداولة آنذاك ، من الممثلين
والممثلات والمسرحيين والمسرحيات ، ويعد كتابه هذا ذات خمس
و ثلاثين ومائة صفحة أسهل كتبه على الإطلاق (9) .

وظهر كتابه (التطور الخالق) الذي أكسبه المكانة العالمية
بين العامة والعلماء سنة 1907م ، وحاول فيه حل مشكلة الحياة ،
وبداية ظهورها ، والمراحل التي مرت بها ، حتى استقرت على
ما هي عليه الآن ، ولاقى كلامه في هذا الكتاب صدى في النفوس
الملتئة غيظاً ضد الكنيسة ، فنال الشهرة المطلوبة (10) .

ومما زاد في شهرته أن الكنيسة الكاثوليكية : أدرجت كتب برجسون ضمن قائمة الكتب الممنوعة كنسياً ، وحرمت قراءة كتاب التطور الخالق ، لأنه يقود إلى الإلحاد و إنكار الخلق المباشر من الله عزوجل ، وكان ذلك سنة 1914م .

وظهر كتابه (معنى الحرب) سنة 1915م ، وذلك عقب نشوب الحرب العالمية الأولى، التي كانت فرنسا أولى ضحاياها، وحاول فيه تحليل ظاهرة الاعتداء والعوامل التي تمكن وراءها ، وفيه يُسلّى نفسه بانتصار القيم والقوى الأخلاقية.

أما كتابه الطاقة الروحية فهو عبارة عن محاضرات ألقاها في العديد من الجمعيات والجامعات ، وأبحاث نشرها في العديد من الدوريات ، وندوات شارك فيها بمقال تحت عنوان معين .

ويبدو من تصدير الكتاب بمحاضرة هُوكسلي التي ألقاها في جامعة برمنجهام ، في 29 مايو 1911م ولاءه التام لمنهج ذلك العصر ، الذي جزم بأن الله لم يخلق الخلق بجميع فئاته ، وإنما جاء الخلق عن طريق التطور، في فترات متلاحقة امتدت إلى ملايين السنين (11) .

وجاء كتابه (الديمومة والتأني سنة 1922م، كعرض ومناقشة لنظرية اينشتاين للزمان ودوامه النسبي المنتهي إلى أمد محدد ، وعارضه برجسون في انتهاء الزمان ونهايته في ضوء نظريته في الزمان ، وأنه غير منتهٍ ولا نهاية له .

وأما كتابه (الفكر والمتحرك) الذي ظهر سنة 1934م ، فهو كتاب مُحدِّدٌ لمنهج برجسون في كل ما كتب ، إذ عرَضَ فيه التطور الذي ارتضاه لنفسه ، وقواعد المنهج الحدسي الذي وضع أسسه ، كما حوى كتابه هذا بحثه الموسوم (المدخل إلى ميتافيزيقيا) الذي حاول فيه إقناع القارئ بفكره ، من أن التجربة ونتائجها لا ينحصران في العلوم التجريبية ، وإنما يوجدان أيضاً في العلوم التي لا تدخل المعمل (12) .

وجاء ختام كتبه (منبعا الأخلاق والدين) الذي ظهر على الملأ سنة 1932م، ليضع ختم الاعتماد على المنهج الذي سعى برجسون إلى بثه بين الناس ، بعُلبٍ مختلفة الألوان والأذواق. إلا أنها جميعاً تهدف إلى شيءٍ واحدٍ وهو الذي تراه في أبحاثي الثلاثة .

6- أسلوبه في أبحاثه

يعد العلماء هنري برجسون من المكثرين في الكتابة ، يملك خيالاً خصباً وقدرة على التحليل قلَّ ما أعطى غيره مثلها ، فبحثه عن (المادة والذاكرة) خير مثال على ذلك ، يتمتع الرجل بسعة الاطلاع على الحضارات القديمة ، كالحضارة الهندوسية والفرعونية والبوذية والكنفوشية... ويمتاز فكره بأمر أهمها :

أ- كثرة التكرار ، و لربما كرر المعنى الواحد في الصفحة الواحدة ، ولا شك أن ذلك غير محمود في الأبحاث والمقالات العلمية . لأن ذلك يقود القارئ إلى الملل وقطع المشوار في منتصف الطريق ، دون الوصول إلى الهدف المنشود .

ب- المفروض في الباحث أن يقدم المعلومة إلى القارئ في صيغة الجزم دون تردد ، إلا أن ذلك شبه مفقود في أبحاث برجسون ، يقدم الفرضَ ثم ينفّده ، ويتبعه بفرض آخر ثم ينقده ، وهكذا دواليك ، حتى يأتي إلى ذكر الفرض الأخير ويتركه دون أن بين رأيه فيه سلباً أو إيجاباً ، لذلك لا يخرج القارئ بنتيجة حتمية لرأي برجسون ، ومن هنا نجد الباحثين عند تحديد رأي برجسون يقدمون الفرض الأخير غير المنقوض ، وينسبونه إليه ، ويجزمون بأنه رأيه .

ت- يحترم برجسون الرأي المخالف ويلتزم الأدب عند النقد ، وما رأيت له جملة جرح بها شعور غيره ، ونقده في الأعم الأغلب للبناء وإتمام نظريته لا للنقد فحسب ، لذلك نال إعجاب أعدائه قبل أصدقائه ، وأطروحته للدكتوراه خير شاهد على ما أقول : فقد نقد أرسطو ، إلا أن نقده نقد متمم للقضايا التي تطرق إليها برجسون في النقد .

ث- أسلوبه في القضايا الفلسفية اليونانية غامض غموض اليونان، لا يستطيع القارئ العادي أن ينال منه بغيته ، وما كتبه في قضايا علم النفس أيسر منالاً ، يستطيع القارئ نيل المطلوب

ج- لم يرفع برجسون قلمه للكتابة في موضوع ، إلا بعد أن اطلع على كل جزئية من جزئياته المتاحة ، ربما استغرق منه ذلك عقداً من عمره ، لذلك تجده يتحدث في العمق والأساسيات ، فما أخرج كتابه التطور الخالق إلا بعد دراسته للأبحاث المتداولة في زمنه ، ولاسيما في علم الأحياء ، فجاء نقده في العمق والجزئيات لا في العموميات والمظهر الخارجي ، لذا لا أعدو الحق إن قلت أن كتب برجسون كلها للعلماء وأهل التخصص ، ما عدا كتابه منبع الأخلاق والدين .

7- وفاته

عُمرَ برجسون طويلاً ، فقد لبَّى داعي الأجل في 4 يناير سنة 1941م ، وكان عمره آنذاك إحدى وثمانين سنة ، وتختلف الرواية في الديانة التي مات عليها ، فمن قائل بموته على الإلحاد ونكران الإله ، وقائل بموته على النصرانية الكاثوليكية .

ويستند القائلون على موته نصرانياً بأمر منها :

1- كتبت الصحفية ريشا مارتين بعد وفاته بثلاثة أيام توبنه مخبرة : إن برجسون قد تَعَمَّدَ ، واغتسل غُسل المعمودية ، وإن

2- نشرت زوج برجسون وصية زوجها المحررة في فبراير 1937م ، يعلن فيها انضمامه الأدبي إلى الكاثوليكية ، ويَعُدُّهَا الصورة المكتملة لليهودية السامية.

3- طلب برجسون في وصيته السابقة : أن نستقدم أسرته عند موته قسيساً كاثوليكياً للصلاة على جثمانه (14) .
ويعتمد القائلون بموته على الإلحاد بأمر منها :

1- نجد في الوصية السابقة أن الرجل أعلن انضمامه الأدبي إلى الديانة الكاثوليكية إلا أنه نص على (عدم رغبته في تحقيق الخطوة النهائية للانضمام إلى الكنيسة وتَقَبُّل طقس التعميد)

2- علل برجسون في وصيته عدم قبول التعميد قائلاً : (حتى لا يتخلى عن أولئك الذين سيقع عليهم العذاب والاضطهاد من بني جنسه) (15)

إذن لن يتخلى عنهم عند موته ، وهذا ما حصل ، فلم نر ما يناقض هذا الاعتماد الكتابي الموثوق .

كل ذلك حق وثابت ، إلا أنه عند النظر إلى دراسة ظروف المرض ، التي لازمت برجسون مدة طويلة ، والعمر المديد الذي تجاوز ثمانية عقود ، ووَهْن القوى البشرية في مثل هذا العمر ، وتخلى الأسرة من الأبناء والبنات عن المعمرين في المجتمع الغربي المادي ، وإحالتهم إلى دُور العجزة والمسنين ، وحاجة

كل ذي يقودني إلى موته على الديانة النصرانية الكاثوليكية ،
رغم سعيه الحثيث في العقود الستة من عمره على نشر الإلحاد ،
خدمة لبني جلدته من اليهود وبني صهيون .

8- عصر برجسون

يُعدُّ العصر الذي عاش فيه برجسون ، نهاية الصراع بين
العلوم التجريبية والعلوم المنزلة من عند الله عز وجل ، في الكتب
الإلهية الممثلة في الكنيسة ورجالها في الغرب ، ويعود امتداد هذا
الصراع إلى القرن السادس عشر الميلادي وما بعده ، حين قال
كوبرنيكوس و جردانوبرونو وجاليليو بكروية الأرض ونفوا أن
تكون مركزاً للكون .

واستنتجهم العلمي هز الكنيسة وما تدين به هزاً ، إذ وجدت
أن ما توصل إليه الثلاثة يناقض ما تدين به الكنيسة ، لأن التوراة
- التي يجب على رجال الكنيسة الإيمان بها قبل إيمانهم بالأناجيل
- تقول : إن الأرض مستوية أي مسطحة ، وأنها مركز الكون ،
وأن الإنسان مركز الوجود .

فخافت الكنيسة أن تُفقد سلطانها إن صدّقت العلماء ، فأخذت
في مطاردتهم ومطاردة كل من يحاول المساس بما تدين به
الكنيسة ، فقد كان العلماء يعارضون الكنيسة وديانتها ، بنتائجهم

ففي بداية الصراع تعاطف الناس مع الكنيسة ، وعارضوا نتائج العلم ، إلا أن هذا التعاطف لم يكن مبنياً على أسس دينية سليمة ، لذا أخذ الناس بالتخلي عنه ، والتحول إلى العلم والعلماء ، وبالتدريج أخذت كفة الكنيسة تخف ، وكفة العلم التجريبي تترجح ، لأن ما تقدمه الكنيسة من المعلومات يتعارض مع واقع الحياة ، فعصر برجسون هو عصر النَّزَعَاتِ الأخيرة من حياة الكنيسة وديانتها.

ولم تعد الكنيسة تملك من توجيه الناس شيئاً ، سوى أن تطردهم من رضوان البابا ، وضم الكتب التي تخالفها إلى قائمة الكتب الممنوعة ، التي يحرم قراءتها .

9- مميزات عصر برجسون

يمكن حصر مميزات هذا العصر فيما يلي :

- 1- حصر العلم والمعرفة في التجربة والمعمل الماديين .
- 2- إنكار المعلومات التي لا تدخل في أنبوب المعمل .

3- فصل الدين عن الحياة ، وانتشار العلمانية بين جميع طبقات الشعب ، وفقدان الكنيسة مصدرية التوجيه لممارسة أعمال الحياة اليومية .

4- حصر الأعمال لرجال الكنيسة في إقامة طقوس يوم الأحد .

5- إنكار المعتقدات الغيبية بجميع صورها وأشكالها ، بدءاً من وجود الله عز وجل و انتهاءً بوجود يوم العرض والحساب والجنة والنار، ومن يثبتها منهم يحاول إثباتها في هذه الحياة العاجلة ، في صور يمكن قبولها عقلاً .

6- تقديم آراء ومقترحات سخيفة قد تصل إلى الخيال ، تحت شعار العلم التجريبي ، الذي سيتطور لاحقاً ، فَيَصِلُ إلى تلك الغاية المُنْخَيَّلَةِ المنشودة ، كتطور حياة الإنسان لتصبح دائمة خالدة ، فينتفي الموت إلى الأبد ، كما سيأتي في قول برجسون .

7- استسلام الكنيسة وقبول الانهزام العام، أمام العلم المادي ومن يرتدي رداءه.

8- توجيه المراكز العلمية والعلماء البارزين من قبل اليهودية العالمية ، التي تتبنى خطة نزع فكرة الله من عقول غير اليهود ، تحقيقاً للمبدأ الذي نصت عليه في برتوكولات حكماء صهيون (لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله وعلى الأخوة والإنسانية.... ، إن الناس المحكومين بمثل هذا الإيمان، سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم (هيئاتهم الدينية) وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة ، تحت إرشاد أئمتهم الروحيين ،

إنشاء نظريات باسم العلم تناقض الموروث الكنسي ، بغض النظر عن الصحة أو الفساد، وتُحلّ محله ، لسد الفراغ الذي أحدثته النقض، تقول بروتوكولات حكماء صهيون (لاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونييتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد) (19) .

10- كانت الصحافة هي التي تمسك أزمة التوجيه والإرشاد ، بعد أن سلبته من الكنيسة ورجالها ، من الرهبان والقساوسة ، وقد تمكن اليهود من الوصول إلى كرسي رئاستها ، بالتأسيس للصحف الجديدة حيناً ، وبشراء المشتهر منها أحياناً أخرى ، وما تزال كذلك حتى هذا اليوم ، وازداد الوضع سوءاً بتعدد وسائل الإعلام : من الراديو والشريط والقنوات الفضائية والانترنت ، وكلها مملوكة لليهودية العالمية ، بطريق مباشر أو غير مباشر.

11- تقديم الاستدلال التجريبي على سائر الأدلة ، وإقناع الناس بأن حكمه هو الصواب ، وأن كل دليل لا يقوم على التجربة فهو دليل باطل ، لا يجوز قبوله ولا الركون إليه .

2- أسس تصور الدين عند برجسون

أسس تصور الدين والإله عند برجسون :

يبني برجسون تصوره للدين والإله ووجودهما على ركيزتين أساسيتين هما:

- 1- تغيير المفاهيم للمفردات اللغوية عبر التاريخ الإنساني .
- 2- وجود الملكة الخرافية (الخيال) الممنوحة من قبل العقل لدى الإنسان .

أولاً : تغيير المفاهيم اللغوية.

يركز برجسون في تصوره للدين والإله على أن الكلمات اللغوية التي نستعملها في تعاملاتنا ، ألبسها المجتمع مفاهيم محددة ، فأعطى للموجودات والمتصورات والمتخيلات وغير الموجودات ألفاظاً لغوية ، لتسهيل التخاطب بين أفرادها ، ولا يلزم أن يكون ذلك واقعاً عملياً (وكل ما فعلتم أنك تتأملون تأملاً نظرياً في مفهوم فكري قد يكون فارغاً ، أو وضحتم اتفاقياً معنى كلمة وضعها المجتمع لجزء من الواقع ، اقتطعه لسهولة التخاطب ، إن التقرير يظل عقيماً ما دام التعريف اتفاقياً). (20)

ويقدم كلمة الدين والسحر كأمثلة واقعية للمفاهيم اللغوية المتغيرة ، فقد أعطى المجتمع للكلمتين مفاهيم ظلت تتغير من جيل إلى آخر ، وإن الفيلسوف العاقل يدرس في معظم الأحيان هذه الأسماء ، التي سبق تسميتها من قبل المجتمع ، وقد تكون تسميته مشوهة ، وقد يلقيها بين غيرها من الكلمات على غير هدي ، وقد

وتزداد المشكلة في نظره تعقيداً ، حين يعطي المجتمع لمفهوم قابل للتوسع مفردةً لغويةً محددة المعنى ، لأنها الدارجة بين أفرادها ، فيصطفيها لذلك المفهوم، لعدم امتلاكه غيرها ، وإن مفاهيم علم النفس ومفرداته التي يطلقها العلماء على معان معينة خير مثال لهذه المشكلة. (22)

وقد يكون للمفردة اللغوية أكثر من معنى ، تعارف عليه أفراد المجتمع ، فتأتي فئة فتخصص إحدى هذه المعاني لهذه المفردة ، كما هو الحال في كلمة الدين ، التي تعنى (عبادة آلهة يُتَّجَّه إليها بالدعاء) (23) أضف إلى ذلك أن للكلمة أحياناً تنوعاً في مفهومها ، من مجتمع إلى آخر ، وذلك هو ما تتمتع به كلمة (الإله) ، فالطوطم والجرذ وأبوالهول أمثلة واقعية لمثل هذا التنوع (24) ، الذي يمثل التغيير، وإن هذا التغيير في مفاهيم المفردات اللغوية لا يقتصر على القضايا المادية الملموسة ، وإنما يشمل المكتسبات الروحية أيضاً ، فيؤدعها التغيير في العادات والمؤسسات ، وتنتقل إلينا بالتربية عبر اللغة ، فنلقاها في كل حين ، وهكذا يسري التغيير في المفاهيم اللغوية دون عناء. (25)

وعند النظر إلى النواهي الدينية - التي تعني التقديس والمنع معاً - نجد ذلك واضحاً وضوح الشمس ، فمفهوم التحريم لدى

وحيث يكتمل تكوين هذين المعنيين المجددين ، ويغدو التمييز واضحاً بين قوة دفع مادية وبين نهي روحي ، أما قبل ذلك الحين فتكون الصفتان منصهرتين في صفة واحدة ، تسمى التحريم ... ، والآن فلنتساءل هل فهمت الإنسانية البدائية التحريم على نحو ما يفهمه بدائيو اليوم) (26)

وفي ضوء التعليقات السابقة ، أباح هنري برجسون لنفسه تغيير المفاهيم للمفردات اللغوية ، وأنه من حقه أن يعطي الكلمة معنى لم تعطه من قبل ، أو يوسع في مفهومها أو يخصص مفهومها... ، وقدم الضحية الملائمة لمثل ذلك كلمة (الله) (وإن لنا أن نهب للكلمات التي نحددها المعنى الذي نشاء... ، وتلك بوجه العموم حال الفلسفة حين تتحدث عن الله ، فإنها لا تعنى الإله الذي يفكر فيه عامة الناس ، حتى إذا أتيح بمعجزة وخلافاً لرأي الفلاسفة أن يهبط هذا الله إلى ساحة التجربة ، لأنكره كل الناس وما عرفوه) (27)

مناقشة تغير المفاهيم اللغوية

حين ننظر إلى الكلمات اللغوية ومفاهيمها نجدها على

قسمين:

كلمات متوارثة المفاهيم كإبراً عن كابر .

كلمات مستجدة المفاهيم لم تكن موجودة من قبل، فأوجدتها

الإنسان لحاجته إليها.

فالنوع الأول لا يقبل التغيير، وكل تغيير فيه بمثابة التيه عن

الجادة ، فكلمة الإنسان وإطلاقها على هذه المجموعة ، المكونة من

العظام واللحم والأعصاب ...، وتميزه بالفكر أمر موضع اتفاق ،

منذ وجود آدم حتى هذه اللحظة بين كل البشر ، وستظل موضع

اتفاق إلى نهاية الإنسانية .

وإلى هذا المتوارث جاء الإشارة الإلهية في قوله تعالى : (

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (28)

وأعظم الكلمات المتوارثة ومفاهيمها المحددة ما يختص

بالمعتقدات ، فإنها ثابتة الكلمات والمفاهيم ، لا تقبل التغيير ولا

التبديل من شخص إلى آخر ، ولا من شعب إلى شعب ، ولا من

أمة إلى أمة ، لذلك اتفقت الشرائع الإلهية المنزلة من عند الله عز

وجل منذ أول رسول أرسله الله إلى البشر ، إلى خاتم الرسل محمد

صلى الله عليه وسلم على مثل هذه الكلمات ومفاهيمها ، فمن ذلك

كلمة الإله وكلمة النبوة وكلمة اليوم الآخر، إلى آخر الكلمات

الاعتقادية التي لا تجد فيها تغييراً في المفهوم .

وإن وُجِدَ التَّغْيِيرُ فهو إلباس للكلمة مفهوماً لم توضع من أجله ، وسرعان ما يأتي الوحي الإلهي بإعادة المفهوم الصحيح، الذي وجدت الكلمة من أجله.

وعند دراسة تاريخ الأنبياء نجد الكثرة الكاثرة في بني إسرائيل، وهذا يقودنا إلى الجزم بأن بني إسرائيل رغم محدودية عددهم أكثر الناس تحريفاً للكلمات الاعتقادية دون سائر الأمم ، وتحريف مفهوم كلمة العجل وإلباسه مفهوم كلمة الإله خير مثال لذلك ، قال تعالى : (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ) (29)

أما الأحكام العملية والكلمات التي وضعت لها والمفاهيم التي احتوت عليها فقد جرى فيها التغيير ، إلا أن مرجع ذلك إلى الله في الأديان الإلهية لا إلى البشر ، وهذا الذي يطلق عليه في شرع الله اسم النسخ ، وإليه جاءت الإشارة في قوله عز وجل (مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (30)

أما كون الكلمة لها أكثر من مفهوم وتخصيص أحدها عند فئة معينة من الناس ، فهذا أمر معهود عند المتعلمين ، ويشترطون لمثل هذا التخصيص وجود القرينة الدالة الصارفة إلى ذلك ، وعند التباس الأمر تجد عقلاء الناس يضعون أوصافاً في كلامهم تقود إلى المفهوم المطلوب ، وأما كلمة الدين فإن الشرائع

أما الشبهة التي أثارها الرجل تجاه تنوع المفهوم لكلمة الإله - الطوطم ... أبو الهول - فلا مكان لها في الشرائع الإلهية ، فإن كلمة الإله من صميم الكلمات الاعتقادية، فلا تُصرف عند الإطلاق إلا إلى الإله الحق، وإن صرفت إلى غيره كانت شركاً بالله عزوجل، بعث الله الأنبياء لمحاربته.

أما النوع الثاني من الكلمات والمفاهيم التي تستجد في الحياة اليومية ، وليس لها رصيد سابق في المعجم الإنساني فيجب على واضعها أن :

1- يختار الكلمة التي تقود إلى المفهوم المطلوب بالدقة المتناهية ، فلا يضع كلمة لا تبرز المفهوم المحدد.

وعند النظر إلى الكلمات المستجدة التي نتعامل بها الآن ، تجد فيها الخداع وإعطاء الكلمة مفهوماً ليس لها، فمن أمثلة ذلك كلمة العلمانية (لا دينية)، المشروبات الروحية (المسكرات)، الفوائد (الربا)، ولم تسلم منه الكلمات العلمية الاصطلاحية ، التي يفترض فيها وجود الدقة المتناهية، فمن ذلك: كلمة غسيل الكلى وطفل الأنابيب وزراعة الكبد وما شابه ذلك، فلا تعنى الأولى سوى تنقية الدم من البولينا الزائدة ، وينحصر مفهوم الثانية في وجود البويضة الملحقة مدة زمنية محدودة خارج الرحم ، ثم

2- يجب أن يراعي الواضع عند وضع الكلمة شعور الناس، وما يلتزمون به تجاه الكلمة إيجاباً وسلباً ، فلا توضع كلمة تخدش الشعور العام، كوضع كلمة مكة على ملهى ليلي في إحدى الدول الأوربية .

3- مراعاة المستوى الثقافي للمتعاملين بالكلمة، وتجد هذا الإخلال واضحاً في المصطلحات القانونية واللوائح التشريعية أينما وجدت .

ثانياً : وجود الملكة الخرافية لدى الإنسان.

وهبت الطبيعة للإنسان العقل ، وهو ملكة يستخدمها ابن آدم في التخلص من صعوبات الحياة (31) ومتى وُجِدَ العقل يغزوه الوهم ، (والتجربة الزائفة تستطيع إذا أُحْكِمَ تزييفها ، وتراءت للعقل أن تفقه عن الإيغال ، بعيدا في النتائج التي يستخلصها من التجربة الحقيقية ، ولعل هذا ما انتهجته الطبيعة ، فلا غرابة أن نجد أن العقل ما كان يتكون حتى غزته الأوهام ، وإن الكائن العقل في جوهره كائن مُتَوَهَم بطبيعته ، وأن ليس بين الكائنات من يتوهم غير الكائنات العاقلة). (32)

والوهم عند برجسون هو الملكة الخرافية ، وتعني (التوهم الإرادي) وهي موجودة لدى كل الناس ، ويشترط لظهورها وجود الإنسان (33) ، وأشد ما تكون ظهوراً لدى الأطفال ، فَيُعَيَّنُونَ لك

ويحدد مؤجدها قائلاً: (فمتى افترضتم وجود النوع الإنساني ، أي الوثبة الفجائية التي وصلت الحياة في تطورها إلى الإنسان الفردي والاجتماعي ، افترضتم حالاً العقل الصانع ، وافترضتم بالتالي جهداً يذهب بوثبته إلى أبعد من صنع الآلات الذي خلق له ، ويوجد بذلك خطراً ، فلئن وجد النوع الإنساني فإن نفس الفعل الذي أوجد الإنسان ، وأوجد معه العقل الصانع ، والجهد المستمر للعقل ، والخطر الذي يخلقه هذا الاستمرار ، قد أوجد الملكة الخرافية) (35).

إذن موجدتها هو الوثبة الحيوية التطورية التي أوجدت الإنسان ، وتنتمي إلى سلالات العقل. (36) وأن سبب وجودها ينحصر: في أن العقل يُعَرِّضُ النوعَ الإنساني للأخطار ، فتأتي الوظيفة الخرافية فتقيها هذه الأخطار، (37) وإنها بمثابة الغريزة في الحيوان (38) ، (فلما رأت - الوظيفة الخرافية - أن عمل العقل يقوم على التصورات ، عمدت هي إلى إنشاء تصورات خيالية تصمد أمام تصور الواقع، وبهذا استطاعت أن تعاكس عمل العقل عن طريق العقل نفسه، وهذا هو رأينا السبب في وجود الوظيفة الخرافية) (39)

أعمال الملكة الخرافية:

فمن أهم أعمال هذه الوظيفة صيانة الفرد ، وبصيانته يتقوى المجتمع، فالأفراد يؤلفون المجتمع ، والمجتمع يظهر فيهم بالصورة التي رسمها في كل منهم، (فلئن رأينا أن أول أغراض الوظيفة الخرافية التي فطر عليها الفرد ، هو تقوية المجتمع ، فإننا نعلم أنها خلقت أيضاً لصيانة الفرد ذاته ، وفي هذا كذلك فائدة للمجتمع ، والحقيقة أن المجتمع والفرد يتضمن كل منهما الآخر ، فالأفراد باجتماعهم يؤلفون المجتمع ، والمجتمع يحدد جانباً من الأفراد بصورته التي رسمها في كل منهم). (40)

ومن أعمالها خلق شخصيات خيالية نحن ننشئ تاريخها، (41) ومن أعمالها القيام (من تلقاء ذاتها بالقدر الكافي من التوهم ، فكيف إذا حثها على ذلك خوف أو حاجة ، رأيت إلى هؤلاء كيف يقدمون للميت كل ما يظنون أنه يُرضيه ، تفادياً لخطره وطمعاً في رضاه ، حتى ليضربون الأعناق إذا كان ذلك مما قد يسره)، (42) وما تصور الأرواح عند الإسكندنافيين والجن عند اليهود ورؤى المنام إلا جزء من أعمالها ، (43) ويعاصرنا من أعمالها إنشاء الرواية والأسطورة ، كما أن التجربة الزائفة تماثل الملكة الخرافية . (44)

الملكة الخرافية ضرورة للأفراد والمجتمعات

وحاجة الفرد والمجتمع إلى هذه الملكة قائمة لا يمكن الاستغناء عنها ، لأنها توجد لنا الروائيين ومؤلفي التمثيليات

وإنشاء غير المعقول أمر عادي من هذه الوظيفة ، ويعظم ذلك متى عملت في مضمار الدين ، (46) فمن أعظم ذلك تخيل الحياة في الآلهة ، وأنها تَحْيَى حياة شبيهة بحياة الإنسان ، وأنها محتاجة إلى ما يحتاج إليه الإنسان ، (47) فالهة ديانة الهند تماثل آلهة ديانة اليونان القدماء ، في الطقوس والاحتفالات الدينية وتقديم القرابين .

(وقد استمرت هذه العبادات في البراهمية والجينية والبوذية ، أما كيف يمكن أن توجد مع تعليم كتعليم بوذا ، فيجب أن تلاحظ أن البوذية التي كانت تحمل إلى الناس الخلاص ، كانت ترى أن الآلهة نفسها محتاجة أيضاً لأن تَخْلُص ، فكانت تنظر إلى الناس وإلى الآلهة ، إذن على أنهم من نوع واحد...، وإن الإنسان يعيش في المجتمع وبتأثير وظيفة طبيعية أسميناها الوظيفة الخرافية ،

ومتى عملت الملكة الخرافية في أمور الدين أوجبت وفرضت ، وما أسباب اللزوم والإيجاب في هذا المضمار إلا منها ، (ولكن لماذا كانت ملكة الخرافة هذه تفرض مخترعاتها بصورة خاصة حين تعمل في ميدان الدين ، نعم : إنها هنا في ميدانها الذي وجدت من أجله ، فقد وجدت لتخلق الأرواح ولتخلق الآلهة) (49)

لأن اعتقاد الفرد يتقوى بثقة الآخرين فيه في الميدان الديني ، فما بالك إذا كان هذا الاعتقاد مؤيداً بشعب كامل يسنده الماضي والحاضر معاً ، وما بالك إذا كان الإله يُغْنِيهِ الشعراء في المحافل ، وتمتلئ به المعابد ، ويجسده الأدبُ والفن ، فمن لا يدين بالعقيدة العامة ويعوقها بالإنكار لا يسعه الخلاص إلا بالاعتراف بضلاله ، أو زواله من الوجود ، (50) (فالذي لا يدين بالعقيدة العامة ، يعوقها بإنكاره إياها عن أن تكون حقيقة تامة ، ولا تُسْتَرَد هذه الحقيقة تماماً إلا بأن يعترف الرجل بضلاله ، أو يزول) (51) ويجزم الرجل بأن الدين أنشأته الوظيفة الخرافية ، لتقادي الفعل الهدام الذي يوجد العقل للقضاء على التعايش الاجتماعي ، (بينا أن المجتمع لا يستطيع أن يعيش ، وأن يتقادي بعض ما للعقل من فعلٍ هدام ، وأن يصون كل فرد من أفرادهِ إلا بدين ، هو وليد الوظيفة الخرافية) (52) فالوثبة المبدعة هي التي أوجدت

مناقشة وجود الملكة الخرافية وأعمالها وضرورتها

ما قاله برجسون عن وجود الوهم لدى الإنسان أمر لا يُنكر ، و يعترف بوجوده كل البشر ، وإعطاؤه أسماء مختلفة لا يهم البحث كثيراً ، والذي يهم الإنسان العاقل هو كون الوهم يُنشئ ديناً كاملاً ، يلبي كل احتياجات البشر، فهذا أمر لا يمكن التسليم به ، ويزداد الشك حوله حين يكون إرادياً مقصوداً.

المعروف في باب الوهم أنه تفكير خاطئ يظهر نتيجة ملابسات غير واقعية، أما ما قاله برجسون عن الوظيفة الخرافية التي تعني الوهم الإرادي فأمر دُبرّ ليليل، ومكيدة بالإنسانية جمعاء ، لأن وصفه بالإرادي يخرج من كونه غير مقصود ، أو تَوَجُّه من غير قصد ، وبما أنه مقصود فإنه يرمي إلى هدف محدد ، خُطط لتحقيقه مسبقاً .

فوجود الوهم أمر وارد على البشر ، ولا تنكره الشرائع الإلهية ، بل تأمر بعلاجه مادياً بالدواء ، ومعنوياً باللجوء إلى الله عزوجل والاحتماء بجنابه ، أما كونه ينشئ الدين ويسير حياة الناس فهو بمثابة :

من يقول إني بنيت مدينة في الجو ، فيها أبراج متعددة ، ولكل برج عدة أدوار، وفي كل دور عدة شقق ، وفي كل شقة عدة

يمكن تحقيق ذلك بالقول واللسان ، أما إيجادها على أرض الواقع فأمر غير متحقق ، فضلاً عن أن يكون مقبولاً لدى من يستمع إليه ، وهذا الذي ينطبق على الوظيفة الخرافية بجميع مخترعاتها الدينية .

والذي جعل الأوربيين يقبلون مثل هذا الهراء الأجوف ، ويصدقون بمحتواه ولو في الظاهر ، هو كون برجسون أتى بشيء يُسِّقُّ دين الكنيسة ومحتوياته غير المعقولة ، فقد كان الجو في حياة برجسون مشحوناً ضد الكنيسة ودينها الزائف ، فوجد كلامه أرضاً خصبة ، صالحة لكل مُعارض للكنيسة وأفكارها غير المنطقية ، ففَرَّخَ فيها .

والشرع الإلهي لا ينفي الوهم، وإنما يعده مرضاً يأمر بعلاجه ، فمن الوهم:

1- الوسواس الذي يقذفه الشيطان إلى البشر ، فقد أمر الشرع بالاستعاذة منه بالله عزوجل ، قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) (55)

2- التفكير في الخالق عزوجل ووجوده ومكوناته فقد صح من قوله صلى الله عليه وسلم (يأتي الشيطانُ أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟

وأما وجود الأديان الإلهية فقد أخبر عنها القرآن بأنها من عند الله ، لا مجال في انتسابها إلى غير الله ، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (57)

وقال سبحانه عن دينه الأخير المكتمل من كل الجوانب الملبى لكل شعب الحياة (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَثَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (58)

وعند العودة إلى القرآن الكريم نجده يخبرنا بدليل قاطع لا يقبل الشك ، بأن البشرية تجاه الدين تسير في مسارين مختلفين ، لا يلتقيان أبداً .

1- مسار الارتباط بالله .

2- مسار الارتباط بغير الله .

فالمسار الأول لا يتعدد ولا يتنوع ولاسيما في المعتقدات الدينية ، وربما دخل النسخ في بعض الأحكام العملية ، تخفيفاً عن البشر ، ويطلق على هذا المسار في كل الديانات الإلهية اسم الإسلام ، فالإسلام هو دين نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويوسف وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (وَوَصَّى

وأما المسار الثاني فهو الذي يتنوع ويتعدد ، وتختلف صورته لدى البشر ، وكل الذي قاله برجسون في الوظيفة الخرافية ينطبق على هذا المسار ، ولا مانع من الزيادة فيه أو الانتقاص منه ، فكل ذلك وارد ، وربما بعض منتجاته مشاهد ملموس ، فالهة هذا المسار تتعدد من الأرواح إلى السحر ، إلى عبادة مظاهر الكون ، إلى تأليه مشترك بين الحيوان والإنسان ، وإلى تأليه الحكام .

إذن تعميم الحكم من قبل برجسون في نشأة الأديان غير دقيق ، وما أفاض فيه الرجل لا ينطبق إلى على الأديان الوضعية البشرية ، ولها مصادر مختلفة في نشأتها ، منها الوظيفة الخرافية التي ذكرها برجسون ، ومنها الضعف البشري أمام الأحداث الجسام ، ولاسيما عند غياب الدين الصحيح ، أو تكاسل أهله في إبلاغه إلى الناس ، ومنها جبروت الحكم والسلطان الذي يلبس ثوب التكبر والغرور ، فيجبر الناس على التدين بغير دين الإسلام .

3- برجسون و الدين الساكن

تعريف الدين :

الدين لغة : الخضوع والتذلل والطاعة ، تقول العرب دان بكذا أي اتخذته ديناً ، والدين ما يتدين به الإنسان ، وهو اسم لجميع

أقسام الدين عند برجسون

ينقسم الدين في نظر برجسون إلى قسمين :

(1) دين ساكن .

(2) دين متحرك .

تعريف الدين الساكن وصفاته

هو الدين البدائي الذي اعتنقه الإنسان، وأملته عليه الوظيفة الخرافية، لتفادي أعمال العقل الهدامة ، ويعرفه برجسون بقوله (رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة ما في اشتغال العقل، مما قد يشل قوى الفرد ويحل تماسك المجتمع). (60)

ومتى نظرنا في حياة القدماء وجدنا هذا الدين يحيط بها كلها ، فما من شأن من شؤون حياتهم إلا وللدين فيه القول الفصل ، لا يتجاوزونه ، لأنه نابع من صميم بنيان الإنسان . (61) فالدين في المجتمعات البدائية ضرورة أوجدها المجتمع ، للحفاظ على أفراده مجتمعين ، فلا ترى مجتمعاً بلا دين في هذه الفترة من تاريخ البشر . (62)

ومن منطلق هذا الدين عاش قدامى البشر أموراً تخالف العقل ، أملته عليهم الوظيفة الخرافية ، فما طلب النفع والضر من الأرواح والأجساد البشرية الميتة ، إلا شيئاً يسيراً من ذلك الكوم الكثيف غير العقلي ، (والنفوس التي انفصلت عن الأجسام لا

ففي هذا الدين السكوني لا تتميز العادة عن الدين ، ولا تستطيع فصلها عن الأخلاق ، فالعادات هي الأخلاق والأخلاق هي الدين ، (وكل مألوف في هذه المجتمعات لا بد أن يكون إلزامياً ، لأن التضامن الاجتماعي الذي لم يتكثف في قوانين ، ولا أقيم على مبادئ يسود ما اجتمع الناس على قبوله من عادات ، وكل ما ألفه أعضاء الجماعة ، وكل ما ينتظره المجتمع من أفراده ، سيتسم إذن بطابع الدين) (64)

مصادر الدين الساكن

ومصدرية هذا الدين السكوني تعود إلى اعتقاد الإنسان بوجود الأرواح ، وأن لكل كائن حي روحاً ألطف من الجسد ، خلع عليها الإنسان الحياة (ولما أمنت الإنسانية بهذه الأرواح أخذت تعبدها ، وهناك إذن فلسفة طبيعية هي الروح الكونية ، منها خرج الدين) . (65)

وجاء السحر ليحل محل الأرواح في المجتمعات البدائية الكسولة ، فدانت به الإنسانية ، لأنها لم تبذل جهوداً في الابتكار ،

وتتصور المجتمعات في هذه المرحلة من التدين بأن الساحر يحقق لها المطلوب ، من غير جهد تبذله ، (انظر مثلاً إلى هذا البدائي الذي يريد أن يقتل عدوه ، إن عدوه بعيد من المستحيل عليه أن يبلغه ، ولكن لا ضير إن صاحبنا غضبان ، وها هو ذا يقوم بحركة الانقضاض على الغائب ، إنه يثب إلى الإمام ، ويمضي في عمله إلى الغاية ، يضغط بأصابعه الضحية... ، وعلى الأشياء بعد ذلك أن تتكفل القيام بما تبقى) (68)

فوجود الأرواح والأعمال السحرية التي لا حقيقة لها ، جزء من عمل هذه الوظيفة الخرافية ، التي تنتسب إلى العقل ، إذن مصدرية الدين الساكن تعود إليها دون نزاع ، (والواقع أن الوظيفة الخرافية التي تنتسب إلى العقل ، وليست مع ذلك من العقل المحض ، تحقق هذا الغرض ، فقد أوجدت الدين الذي كان موضوع حديثنا حتى الآن ، و الذي أسميناه سكونيا.) (69)

مناقشة (صفات ومصادر) الدين الساكن

ما ذكره برجسون من قضايا الدين الساكن وبداية نشوئه كل ذلك موجود في البشر ، يمثل خط الانحراف الذي سلكته البشرية منذ انحرافها ، وأوغلت فيه ، وما تزال توغل فيه ، وأما حصر منبعه في الوظيفة الخرافية التي تناقض فعل العقل الهدام ، فكلام أجوف لا يقوم عليه دليل مقنع .

العقل منحة إلهية ميز الله به الإنسان على سائر الحيوانات ، وتمجيده في ثنائية برجسون - هدماً وبناء - ليس بجديد على الفكر الإسلامي ، فقد قال بذلك المعتزلة من قبل ، حين تحدثوا عن إمكانية إدراك العقل للحسن والقيبح من الأقوال والأفعال ، وأوجبوا النار لمن يخالف حكم العقل يوم القيامة ، إلا أن الصحيح أن العقل مؤشر صالح يمكنه إدراك الحسن والقيبح ، إلا أن الحجة لا تقوم على الخلق إلا ببعثة الرسل ، لتنصيص القرآن الكريم على ذلك قال تعالى : (مَنْ اهْتَدَى فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (70)

فللعقل مجال واسع يستطيع الخوض فيه ، ويقدم الخير إلى البشرية ، ويتحدد ذلك في مسار السنن الكونية وأمور الحياة الدنيا ، ومتى تجاوز هذا المجال ضل وتاه وكبا بصاحبه وحملته بما لا يطيق ، وكم كان ربي رحيماً بكليمه موسى عليه السلام ، حين طلب رؤيته بالعين المجردة التي لا تطيق ، وكان الطلب نابعاً من العقل ، فجاء التوجيه المفيد بأن ينظر إلى الجبل (ولَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ

رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أُنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ
 انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ
 لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ
 إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (71)

ومن هنا تجد الشرع حدد للعقل دائرة العمل في الحياة الدنيا
 المادية ، ومتى تجاوزها ضل ، ومن ذلك ما قاله برجسون من
 نشوء الدين من الوظيفة الخرافية المنتسبة إلى العقل .

أما الأمور التي ذكرها الرجل عن قدامى البشر وربطها
 بالدين فهي أمور واقعية ، ترتبط بالدين المحرف ، سواء كانت
 هذه الأمور أرواحاً تعبد ، أو سحراً ينفذ ، أو أوثاناً تعبد من دون
 الله ، كل ذلك وثيق الصلة بالدين الفاسد ، وقد أخبرنا مفسر
 القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن هذا الخط المنحرف
 في العرب ، المتصل بقوم نوح ، فقال (صارت الأوثان التي
 كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما وُدُّ فكانت لكلب بدومة
 الجندل ، وأما سُوع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم
 لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما
 نسر فكانت لحمير ، لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من
 قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ، أن انصبوا إلى
 مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً ، وسموهم بأسمائهم ففعلوا ،
 فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتِ) (72)

كما أن حديث القرآن عن السحر وبيان حقيقته واضح وضوح الشمس ، وعده من الكفر المخرج من ملة التوحيد ، (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (73)

وقال في كشف حقيقته (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقِي وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ . قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَّهَوبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .) (74)

فالدين الحق لا تنتسئه الوظيفة الخرافية ، ولا هو رد فعل دفاعي ضد عمل العقل الهدام ، وإنما ينزله الله على أنبيائه المختارين ، يعدون إعداداً خاصاً لأداء هذه الوظيفة ، وقمته توحيد الله ، وأمور التشريع وسن القوانين من أعظم حقوق هذا الإله ، وما على البشر إلا الخضوع والاستسلام ، لأنه يحقق لهم كل مفيد ويمنع عنهم كل ضار ، وفيهما تنحصر حياة البشر ، لذا أفاض القرآن الكريم عن هذا النوع من التوحيد ، توحيد النفع والضر ،

ومتى طلب الإنسان شيئاً من غير الله لا يملكه إلا الله ، من جلب نفع أو دفع ضرر كان مشركاً شركاً أكبر ، يخرج من ملة التوحيد .

وظائف الدين الساكن

ويحصر برجسون وظيفة مثل هذا الدين في أمرين لا ثالث لهما :

1- الإبقاء على المجتمع في صورة تماسك الأفراد بعضهم ببعض .

2- إثارة نشاط الأفراد وتنظيم أعمالهم . (76)

ويختتم حديثه عن مثل هذا الدين السكوني في قضاياها المتنوعة ، بأنها تُبنى على أمرين :

1- الوهم والأمور غير المقبولة عقلاً ، وأن الحيوان أرفع منزلة من الإنسان لجهله بمثل هذه الأوهام ، (وما أشد ما يصيبنا من خجلٍ إذا قارنا أنفسنا من هذه الناحية بالحيوان ، فالمرجح أن الحيوان يجهل هذه الأوهام ، نعم إننا لا نعرف ما يجري في غير شعورنا ، ولكن الحالات الدينية تعبر عن نفسها عادة بأوضاع وأفعال ، ففي وسعنا والحالة هذه أن نعرف هل للحيوان قدرة على التدبير ، وسنضطر حينئذ إلى القول بأن الإنسان العاقل ، وهو

الخرافة: فموضوعات هذا الدين السكوني خرافات لا صلة لها بالحياة الواقعية ، ترى فيه آلاف الصور التي أضافها الإنسان إليها (وأن ثمة غير هذا ألوفاً من الأشكال ، أدخلها عليها الإنسان كما شاء له هواه ، فأما الموضوعات نفسها فيها تتصل ولا شك المعتقدات الأساسية ، التي يكاد يقع عليها علم الأديان في كل دين ، وأما الأشكال التي أدخلت على هذه الموضوعات فهي الخرافة والمفاهيم النظرية ، التي تتباين إلى غير نهاية بتباين الأزمنة والأمكنة) (79)

وما زال هذا الدين السكوني على صورته البدائية حتى اليوم ، (80) لأنه يقوي الإنسان وينظم سلوكياته ، ومن هنا تجد عباداته - التي تشبه التمارين تتكرر باستمرار ، وهي شبيهة بتمارين الجندي ، فإنه يكررها حتى تصبح جزءاً من جسمه ، لرباطة الجأش ، حين يحتاج إليها يوم الخطر . (81)

ويتساءل برجسون في صورة إنكار بقاء هذه الأديان بعد انتهاء الخطر الذي كان سبباً في وجودها ، لأن العلم المادي والتجارب التي أقامها العقل يسد الفراغ الذي وُجِدَتْ الأديان من أجله ، (كيف اتفق للأديان أن تبقى بعد زوال الخطر الذي عمل على وجودها ؟ لماذا تطورت تطوراً ، وكان المفروض أن تزول

مناقشة وظائف الدين الساكن

حَصْرُ برجسون لوظيفة الدين الساكن في تماسك أفراد المجتمع ، وإثارة نشاطهم ، حصرٌ مجحف ، فقد يتماسك الأفراد من غير دين ، ووضع الدول المتقدمة اليوم خير شاهد لذلك ، بل دولة برجسون (فرنسا) نفسها خير دليل على تماسك الأفراد ، وتظللهم بظل الدولة التي لا تعترف بدين .

فما أن انتهت الثورة الفرنسية 1789م التي غيرت مجرى الحياة في أوربا ، حتى أُعْلِنَ عن تشكيل أول حكومة لا دينية في العالم في فرنسا ، إذن تماسك الأفراد لا ينحصر في الدين ، ربما كان سبباً من الأسباب المتعددة ، التي تقود إلى تماسك الأفراد ، ومن أهم أسباب التماسك وجود المصالح المادية المشتركة بين الأفراد ، والانتماء القَبْلِي ، والانتساب إلى دم معين ، كلها تقود إلى تماسك الأفراد .

فإن كان الدين الساكن (المحرف) يقود إلى تماسك أفرادهِ ، فإن الدين الحق المنزل من عند الله يصل بالتماسك إلى أعلى قمة تتصورها البشرية ، ويبيِّن ذلك على أصليين :

- 1- دعوة جميع البشر إلى توحيد الله .
- 2- وجوب إتباع آخر هذه الدعوات ، التي تجمع البشر جميعاً ، وتمثلت في دعوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ولتحقيق التماسك المبني على الأصلين السابقين شرع :

أ- مبدأ الحب في الله والبغض في الله .

ب- أسس الإخاء الإسلامي ، الذي تذوب فيه التماسكات المبنية على أمور ربما لا دخل للإنسان فيها ، كالتجمع القومي ، أو التجمع الوطني ، أو التجمع القبلي .

ت- مبدأ الإحسان إلى الضعيف لينتفي الغرور والتكبر ، فنتسع دائرة التماسك حتى تشمل البشرية جمعاء .

ث- مبدأ تحقيق العدل حتى مع العدو قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (83)

أما قضية إثارة النشاط الإنساني وتنظيم الأعمال ، وحصر أحد جانبي الدين الساكن فيه ، فالأمر فيه نظر، لقد خلق الله الإنسان واستعمره في الأرض ، فهو يبحث عن قوته أول ما يبحث ، بغض النظر عن اعتناق الدين ، فالنشاط الإنساني وارد من غير دين ، وكل الذي يمكن فعله للدين ، هو أن يأمر المتدين بطريقة أداءٍ معينةٍ تتفق مع الدين الذي يخضع له .

وأعظم ما ينقض هذا المبدأ وجود النشاط وإثارته في العديد من الكائنات ، التي لا تدين بدين ، وخير ما نقدمه كدليل في هذا المجال ، وجود الحيوانات والطيور التي فيها إثارة النشاط ، رغم أنها غير متدينة .

أما حديث الرجل عن قضايا الدين بأنها مبنية على الوهم والخرافة ، فالرجل صادق كل الصدق إن قصد بذلك الدين المحرف ، وكاذب كل الكذب إن قصد بذلك الدين المنزل من عند الله عزوجل ، فإن قضاياها لا تبني على الوهم ولا على غير المعقول ، لذلك تجد خطاب القرآن في كثير من آياته يطالب الإنسان بالتفكير والتدبر ، ليقوده ذلك إلى ترك ما لا يقبله العقل ، (أَلَمْ يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (84)

ويستثير القرآن النفس البشرية إلى النظر العقلي في داخل نفسها ، وإلى الكون من حولها ، لتتعرف على الأمور المحكمة عقلاً ، المتقنة بنياناً ، (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ) (85)
وأما إنكار بقاء الأديان رغم سدّ العلم المادي فراغها ، فيدل على جهل الرجل بالنفس الإنسانية ، فإن النفس الإنسانية جبلت على وجود خانة خاصة بالدين ، تطالب صاحبها بشغلها وملئها ، فإذا لم يملأها بالدين الحق ملأتها النفس بالدين الباطل .

وحديث القرآن بملء هذه الخانة حديث الخالق العارف بمتطلبات النفس الإنسانية ، فقد يملأها الإنسان بالهوى ، والمشتهيات الضارة ، (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفْلا تَذَكَّرُونَ) (86)

فقد يدين الإنسان لهواه ، وقد يدين الدرهم والدينار ، فقد صح من قوله صلى الله عليه وسلم (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم

فبقاء الدين بقسميه الصحيح والمحرف أمر فطري ، لن يستطيع إنسان ما القضاء على هذه الفطرة ، وكل الذي يستطيع الإنسان فعله ، هو إنماء قسم على حساب القسم الآخر .

4- برجسون و الدين المتحرك

تعريف الدين المتحرك

الدين المتحرك عند برجسون قفزة خارج الطبيعة في صورة أفراد ممتازين، قاموا مقام النوع الإنساني ، واستمرت هذه القفزة عن طريق عدد من الأفراد ، يُعدُّ كلُّ منهم نوعاً مؤلفاً من فرد واحد ، وهؤلاء هم بُناة الدين المتحرك . (88)

فالوثبة الحيوية حين لم تعد قادرة على أن تجرف المادة ، (ظهر بعد ذلك أناس ممتازون قاموا مقام النوع ، فسعوا إليها واستردوها ، وهكذا استمرت هذه الوثبة عن طريق عدد من الأفراد ، يُعدُّ كل منهم نوعاً مؤلفاً من فرد واحد... ، تلك هي الصوفية والدين الحركي) (89)

ومن أعظم صفات هذا الدين خدمة الإنسانية ، (90) وأن صاحبه يشعر بأن كائناً أقوى منها يقودها إلى ذلك دون أن تذوب شخصيته فيه ، فَيَهَبُ أعماله كلها لخدمة الإنسان (إن النفس القادرة على هذا الجهد والجدير به ، لا تتساءل هل المبدأ الذي

بل يكفيها أن تحس أن كائناً أقدر منها ينفذ فيها نفوذ النار في الحديد الذي تحميه ، من غير أن تذوب شخصيتها فيه ، وعند ذلك يغدو تعلقها بالحياة هو عدم انفصالها عن هذا المبدأ ، إنه يغدو الفرح في الفرح ، وحبُّ ما ليس إلا حباً، إنها تهب نفسها للمجتمع ، ولكن هذا المجتمع سيكون الإنسانية بكاملها (91)

نشأة الدين المتحرك

وينشأ مثل هذا الدين من التصوف الذي اختلط بالدين الساكن ، فاتجه به اتجاهاً جديداً ، وتجنب الإله القديم الذي أنشأته الوظيفة الخرافية ، (وعلى هذا النحو تتكون ديانة خليطة ، تنطوي على اتجاه جديد للديانة القديمة ، وتنطوي على ثوق الإله القديم ، سليل الوظيفة الخرافية ، إلى الاندماج في الإله الذي ينكشف بالفعل، فيضيء بوجوده نفوساً ممتازة ، ويبعث فيها الحرارة) (92)

فالتبيعة توقفت عن العمل عند إيجاد النوع الإنساني ، والتصوف ارتقى بالإنسان إلى ما فوق هذا الواقع ، لأن المتصوف يحمل في طياته صور العبقرية النادرة ، لا يبلغها عامة الناس ، فالصوفي عملة نادرة قليلة الوجود ، لأنه يحمل جوهرأ في ذاته لا يوجد عند غيره. (93)

ويرى وجود مثل هذا التصوف في الوطنيات المخلصة ، (94) ويتمنى وجوده في الآلة المادية والحياة الآلية ، (95) بل

(أما الصوفية الحقّة فإنها لا تتفق والاستعمار ، وكل ما يمكن قوله : وقد قلناه من قبل ، هو إن الصوفية ما أن يتم لها الذبوع حتى تثير في النفس إرادة قوة عجيبة ، ولكن التسلط لا يكون حينئذ على البشر ، بل على الأشياء ، وما كان تسلطاً على الأشياء إلا للتخفيف من سلطة الإنسان على الإنسان) (97)

قمة الدين المتحرك

ويعتبر الصوفي أعلى قمة في هرم هذا الدين المتحرك ، لأنه اتصل بالجهد المبدع الخالق الذي ظهر من الحياة فاتحد بها ،) والصوفي الكبير هو ذلك الإنسان الذي يتخطى الحدود ، التي رسمتها للنوع البشري ماديته (98)

وقمة هذا الدين تتمثل في الصوفية المسيحية ، التي لُقِّحتْ بالفلسفة اليونانية، واقتبست من الديانات القديمة السابقة وضممتها إليها ، رغم تعدد الاتجاهات ، كل ذلك أعانها لِتَحْمِلَ وسام الدين الشعبي ، (إن المسيحية قد تلقت أو قل استمدت كثيراً من هذا الأمور من هذه الديانات وأولئك الفلاسفة ، وهي مشبعة بالفلسفة اليونانية ، كما أنها احتفظت بكثير من طقوس واحتفالات وعقائد الدين الذي أسميناها سكونياً ، أو طبيعياً ، وكان في هذا خير لها ،

درس برجسون التصوف اليوناني الأفلاطوني ،
والفيثاغورثي ، والأفلوطيني ، كما درس التصوف الهندي
البرهمي ، والجيني والبوذي ، وإن كل ذلك يصب في مجرى
الدين المتحرك ، وقمة هذه التصوفات جميعاً هو التصوف
الأفلوطيني (100) (أما فيما يتصل بأفلوطين فالجواب على هذا
لا ريب فيه ، فلقد أتيح له أن يرى الأرض الموعودة ، وإن لم يظأ
ثراءها في حالة الوجود ، تلك الحالة التي تشعر فيها النفس أو تعتقد
أنها تشعر بأنها في حضرة الله أنيرت بنوره .

ولكنه لم يتجاوز هذه المرحلة الأخيرة ، إلى المرحلة التي
ينقلب فيها التأمل عملاً ، فتتحد إرادة الإنسان بإرادة الله) (101)

اتحاد الإنسان بالله

وقدم برجسون تصوراً لتجاوز المرحلة السابقة ليتحد الإنسان
بالله ، في صورة أن الإنسان هو الله ، لاتحاد إرادته بإرادة الله ،
لأنه جزء من الكائنات التي تمثل الله ، وإن الحب هو المحور
الرئيسي في كل ذلك (إن الكائنات قد وجدت حتى يُحِبَّ وتُحَبَّ ،
لأن القدرة الخالقة المبدعة إنما هي حب ، ولما كانت منفصلة عن

ويقدم الثقل المطلوب لفكرة اتحاد الإنسان بالله ، وتجسيد الألوهية فيه ، من أن كبار المتصوفة كانوا يحذرون أتباعهم رؤية الله في نفوسهم ، كما أنهم لم يُعَيِّرُواها الاهتمام المطلوب متى وقع لهم شيء من ذلك ، لأن ذلك يمثل محطة توقف يجب أن يعبروها إلى نهاية الطريق .

(فهم أول من حذروا أتباعهم من الرؤى ، التي قد تكون وهماً خالصاً ، ولم يعلقوا على رؤاهم هم ، حين كانت لهم رؤى إلا أهمية ثانوية ، فكانت في نظرهم حوادث يمرون عليها في الدرب ، فينبغي أن يتخطوها ويزدروا الوجد والبهجة وراءهم ، حتى يبلغوا غاية المطاف ، وهي اتحاد الإرادية الإنسانية بالإرادة الإلهية) (103)

ويشرح فكرة هذا الاتحاد ، فيقول : (إن النفس حين تهتز في أعماقها بالتيار الذي يجرفها ، تكف عن أن تدور على ذاتها... ، إنها تتوقف ، كأن صوتاً يدعوها ثم تستسلم للتيار يحملها ويمضي بها قدماً ، إنها لا تدرك القوة التي تحركها إدراكاً مباشراً ، ولكنها تحس بوجودها الغامض ، أو تستشفه في رؤية رمزية ، وعند ذلك يغمرها فيضٌ من فرح ووجدٍ تغرق فيه ، أو بهجة تعانيتها ، فتشعر أن الله حاضر وأنها فيه) (104)

وإن مثل هذا الاتحاد - اتحاد الإنسان بالإله - لا يخفق إلا إذا توقف في وسط الطريق ، وما لم يتوقف سيتحد بالله حتماً دون نزاع ، (إذا عرفنا أننا لسنا هنا بإزاء نظرة نظرية ، بل بإزاء تجربة تشبه حالة الوجد شبيهاً كبيراً ، وإن النفس في الجهد الذي تبذله لتساير الوثبة الخالقة ، قد تسير في الطريق المرسوم على هذا النحو ، ولا تخفق إلا حين تقف في منتصف الطريق ، أي حين تنفصل عن الحياة الإنسانية من غير أن تدرك الحياة الإلهية) (105)

تعدد الإله في الدين المتحرك

وبتعدد المتصوفة تتعدد الإلهة ، ولا يعد برجسون ذلك شركاً ، وإنما الشرك في نظره ينحصر في الاعتقاد في الأرواح ، وأما ما سوى ذلك فلا يعد شركاً (وإذا أوغلنا في هذا السبيل ، ومضينا بالمنطق إلى أبعد مما وصل إليه الأقدمون ، قلنا إنه لم يكن هناك شرك نهائي إلا في الاعتقاد بالأرواح ، وإن الوثنية الحقيقية على ما فيها من أساطير تنطوي على توحيد كامن، والآلهة المتعددة آلهة ثانوية، لم توجد إلا تمثيلاً لما هو إلهي بوجه عام) (106)

حاجة إله الدين المتحرك إلى الإنسان

وينتج عن ذلك أن مثل هذا الإله - المتحد بالإنسان - يحتاج إلى الإنسان، كحاجة الإنسان إليه ، (والواقع أن الصوفيين متفقون جميعاً على أن بالله حاجة إلينا ، كحاجتنا إليه ، وهل يحتاج إلينا

وإن هذا الإله يحتاج إلى الوسائل لقضاء مهامه عن طريقها ، وأعظم هذه الوسائل هو الإنسان ، وبذلك يتحد الإله بالإنسان الصوفي ، (إن النفس الصوفية تريد أن تكون هذه الآلة فتزِيل من جوهرها كل ما ليس نقياً نقاء كافيًا ، وكل ما ليس كافي المقاومة والمرونة أيضاً، حتى تكون أهلاً لأن يستخدمها الله ، لقد شعرت بوجود الله واعتقدت أنها تراه في رؤاها الرمزية ، بل واتحدت به أيضاً في الوجود) (108)

أسس الدين المتحرك

وبناءً هذا الدين يقوم على ثلاثة أعمدة : المحبة بين البشر، وغرس الأخوة البشرية بينهم ، والمساواة في كل أمور الحياة ، ويجتمع ذلك كله في مصطلح "الإنسانية" = الصوفية المسيحية. (109)

ويرى برجسون طريقة انتشارها ، في نقلها إلى (عدد صغير من الممتازين ، ينتظمون معاً في جماعة روحية ، وقد تتكثُر هذه الجماعات ، أو يبرز في كل منها أشخاص موهوبون فتنشأ بهم جماعات أخرى ... ، وتلك هي الطريقة التي اتبعها كبار الصوفيين ، وهم إنما بذلوا حيويتهم الفائضة في إنشاء الأديرة ،

فالدين المتحرك المتمثل في التصوف ورموز الصوفية ، هو الذي ينشئ المجتمع الإنساني ، الذي يغمره الحب ، وذاك هو الإله ، وينتفي الكره والتسلط ، إلا أن هذا المجتمع في نظر برجسون لم يوجد بعد ، ولن يوجد في المستقبل ، وكل الذي يمكن الاستئناس به وجود عباقرة ، في صورة أفراد يمثلون المجتمع الإنساني ، وينثرون الحب فيهم ، طمعاً في تعميمه في كل البشر ، لأنه تجسيد للإله والألوهية .

(يبدو لنا من الممكن أن تتطور الإنسانية ، حتى تغدو مجتمعاً واحداً يشمل كافة البشر ، والواقع أن هذا المجتمع لم يوجد بعد ، ولعله لن يوجد) (111) لأن الطبيعة قد استنفدت كل ما كان في وسعها فعله في سبيل النوع الإنساني ، ولم يبق لديها إلا نفوساً ممتازة يحملون الألوهية في نفوسهم ، يمثلون نوعاً جديداً للإنسانية ، تتركب من فرد هنا وفرد هناك ، متناثرين في أرجاء المعمورة . (112) ويعدون أرقى أنواع التطور الإنساني على الإطلاق . (113)

مناقشة : الدين المتحرك

سأناقش برجسون في دينه المتحرك ، عبر سبع نقاط محددة

المعالم ، وهي:

أولاً: مناقشة تعريف الدين المتحرك

الدين المتحرك في نظر برجسون ينتج عن عجز الوثبة الحيوية لعدم تمكنها من إزاحة المادة عن طريقها الذي أوقفها عن التطور ، وإن هذا الدين قفزة خارج الطبيعة ، مثله أفراد لا جماعات ، قاموا مقام المجتمعات ، وإن كل واحد منهم يمثل مجتمعاً برُمته، وإن الوثبة بهذه الطريقة أعادت استمرارها من جديد:

تحليل عقلي بحث ، يحاول صاحبه تفسير أمر قائم في الوجود ، عن طريق تقديم تصور يطالب الناس بقبوله ، ولهم حق التساؤل :

(أ) هل شاهد برجسون الوثبة الحيوية وهي تتقدم ؟

(ب) هل شاهد برجسون الوثبة الحيوية وقد توقفت؟

(ت) هل الدين الحركي الذي تصوره برجسون خرج فعلاً من غير الطبيعة؟

كلمة الطبيعة كلمة ذات دلالات متنوعة ، يختلف مفهومها من تخصص إلى آخر، والدلالة الجامعة التي يتفق عليه الناس جميعاً في تفسير هذه الكلمة ، هي مظاهر الكون المختلفة ، والإنسان مظهر من تلك المظاهر ، والأفراد الذين مثلوا هذا الدين الحركي هم جزء من مظاهر الكون ، إذن لم يكن الدين الحركي إلا جزءاً من الطبيعة ، ومن داخلها . فقله قفزة خارج الطبيعة قول لا يتفق مع القضايا التي تطرق إليها برجسون ، و منها نشوء الإنسان .

(ث) هل أجرى برجسون أو غيره التجارب اللازمة لنشوء الدين الحركي ، لأنه لا يعترف بوجود شيء إلا إذا أثبتته أنابيب التجارب ، فأين التجارب اللازمة لإثباته ؟ .

ثانياً : مناقشة نشوء الدين المتحرك واندماج الإنسان في

الإله

يعيد برجسون نشوء الدين الحركي إلى التصوف ، الذي اختلط بالدين الساكن واتجه به إلى مسلك جديد ، من غير المرور على الإله الذي أنشأته الوظيفة الخرافية ، فالصوفي يمثل قمة هذا الدين ، لاندماجه في الإله واندماج الإله فيه .

لم يأت برجسون بجديد في الفكر الإنساني ، فاتحاد الإنسان بالإله ، أو اتحاد الإله بالإنسان ، أو حلول الله في الإنسان ، أو حلول الإنسان في الله ، أو ما يطلق عليه في الفكر الصوفي وحدة الوجود ، أو وحدة الشهود ، كل هذه التصورات قد مر الإنسان بمخاضها ، فما الحلاج وابن عربي وغيرهم في الفكر الإسلامي إلا جزء من هذه التصورات المناقضة للتوحيد ، فما قولة الحلاج (ما في الجبة إلا الله) وقولة ابن عربي :

ما الكلب والخنزير إلا إلها وما الله إلا عابد في

صَوْمَعِي

إلا النزر اليسير المتناثر في التاريخ البشري .

ثالثاً: مناقشة الصوفية الملقحة (قمة الدين المتحرك)

يُزَيَّنُ برجسون الصوفية المسيحية الملقحة بالفلسفة بأنها الخير ، وأن هذا التلقيح هو الذي قادها لتكون ديناً شعبياً عاماً ، وأسمى شخصية فلسفية خدمت هذا التلقيح هو أفلوطين ، وأن التصوفات اليونانية والمصرية والهندية و الجينية ، كلها تصب في مجرى هذا الدين المتحرك .

متى نظر الإنسان إلى التصوف أياً كان نوعه ، لا يرى فيه إلا الانكماش والتقوُّلب ، وهو طريق الفرار من مشكلات الحياة ، لا يقود إلى الإصلاح الإنساني ، ولا يقدم شيئاً ملموساً ينفع الحياة ، بل يقدم إلى البشرية المضار التالية :

(أ) الصوفي يعتزل الحياة العامة ، ويلوذ بالأديرة والكهوف ، لا يهتم إلا نجاة نفسه ، وباعتزاله الناس يتوقف التذكير عن المنكرات الضارة بالمجتمع ، فيزداد الناس توغلاً فيها ، لعدم وجود من ينهى عنها ، فيزداد المجتمع فساداً على الفساد ، فالصوفي بمسلكه هذا قدم دفعة مضادة لتيار الحياة .

(ب) بتبني مسلك التصوف يفقد المرء إيجابياته الفاعلة لعمارة الأرض ، فيكون الصوفي عالة على غيره ، عضواً مستهلكاً لا ينتج شيئاً ، وإن استهلك أقلّ القليل من الإنتاج البشري .

(ت)المعتاد في الصوفية عدم التزوج رجالاً و نساء ، رهباناً وراهبات ، وبذلك يكتبون الطاقة الجنسية ، ويشهد التاريخ بنتائج هذا الكبت ، فقد خرجت في صورة ولادات محرمة في كل التصوفات البشرية ، ولاسيما التصوف النصراني ، فقد انقلب فيه

لذا لم يرتض الإسلام مثل هذه الحياة غير الفطرية ، فقد صح في الخبر (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تَقَالَوْهَا ، فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم أما أنا فأنا أصلى الليل أبداً. وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) (115)

هذا وقد ابتدع النصارى الناسكُون طريق الرهبنة التي تماثل التصوف لنيل رضوان الله ، فقبل الله منهم ذلك ، (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (116)

وموقف الإسلام من الرهبانية واضح وضوح الشمس ، فقد طالب متبعيه باتباع الزهد ، ونهاهم عن الرهبنة ، ويختلف الزاهد

أما الصوفي أفلوطين (205 - 270 م) فقد تتلمذ على أمينوس ، الذي اعتنق المسيحية في صدر حياته ، ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان القدماء ، وتبعه في ذلك أفلوطين ، وكان يرأس قساوسة كنيسة الإسكندرية ، و بهِ لوثّة الوثنية ، ولإشباعها سافر إلى فارس والهند ، أرض الوثنيات وتعدد الآلهة . فرجع منها متحمساً إليها ، لا يعرف التوحيد إلى قلبه سبيلاً . (117)

وحاول الجمع بين الفلسفة والديانة النصرانية ، بعد أن رأى الأوثان والتمائيل تفقد قوة تأثيرها في الجماهير ، ويحلل الشيخ أبو زهرة هذا الوضع فيقول : (وفي هذا الوقت أراد الفلاسفة أن يحلوا فلسفتهم محل الأديان ، إذا أخذت التماثيل والأوثان تفقد قوة تأثيرها ، ولم يعد لها سلطان في تصريف سلوك الإنسان، وفقدت معابدها ما كان لها من روعة وقوة... ، فاعتور النفس الرومانية حينئذ عاملان : كلاهما فيه قوة وبأس .

فشعورهم بالبأساء والآلام يجعلهم في حاجة إلى عزاء من الدين ، وسلوى باليوم الآخر، وملاذ إلى حياة روحية ، والفلسفة - بما لها من سلطان العقل - لما وجدت الأوثان تسقط قيمتها أرادت

وكانت الفلسفة ترمي إلى إيجاد توافق بين الوثنية والنصرانية ، وفلسفة الإسكندرية آنذاك قامت بهذا الدور خير قيام ، أعادت تكوين العالم وتصريف شؤونه من جديد إلى ثلاثة عناصر : المنشئ الأول ، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه ، والروح الذي يمد كل حي بالحياة ، فسمت المنشئ الأول بالآب ، والعقل المتولد منه بالابن ، والروح المشتركة بينهما بروح القدس ، وبذلك أوجد أفلوطين منشئ الأفلاطونية الجديدة جسور الالتحام بين الوثنية والنصرانية المثلثة .

وحديث القرآن عن التثليث واضح وضوح النهار ، وحكم عليه بالكفر المناقض للتوحيد ، قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (119)

رابعاً: مناقشة الصوفي هو الإله (اتحاد الإنسان بالله)

يرى برجسون أن الإنسان هو الله ، لاتحاد إرادة الإنسان بإرادة الله ، وإن كبار المتصوفة قد أدركوا ذلك ، وإن هذا الإدراك داخلي غير محسوس ، يظهر في صورة الفرح والبهجة ، فيشعر الصوفي بذلك ، وإنه في الله وأن الله فيه .

قضية تأليه الإنسان مُناقضة صريحة لوجوده ، وخط بين المفاهيم المتفقة بين البشر ، فإنهم يدركون الفرق بين المصنوع

وإلى هذه الحقيقة الكونية الثابتة لفت القرآن الكريم أنظار البشر ، وحذرهم من التماذي في الباطل ، قال تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (120)

وتصوّرُ الاتحاد بين الإنسان والإله قمة الخيال البشري ، فلو كان فيه شيء مفيد للبشرية لكان أحق الناس بهذا الادعاء هم أنبياء الله ورسله ، فقد سادوا البشر في أزمنتهم ، ولم يوجد ما يمنعهم من لبس هذا المُسُوح ، إلا أننا نجد العكس ، فقد مثلوا قمة الخضوع لله .

فها هم بعضٌ من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الاستغاثة ، من أذى منافق ، فينهاهم عن ذلك ، مُحدّداً ما يختص بالله وما يختص بالإنسان ، ويربطهم بالله ، فقد صح الخبر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبو بكر رضي الله عنه قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم ، من هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُقام لي ، إنما يقام الله تبارك وتعالى) (121)

وأشرف مقام يناله الإنسان حين يذل نفسه لله ، ويحصر عبوديته فيه ، فهاهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ينال هذا الشرف في ليلة الإسراء، فيصفه ربه بأعظم تشريف ناله في حياته ، فنسب عبوديته إليه ، فقال: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (122)

فلا مكان في الدين الحق لاتحاد الإنسان بالله ، أو حلول الله فيه ، وإن ذلك إلحاد مكشوف لحقيقة ثابتة لدى العقلاء أجمعين .

خامساً: مناقشة تعدد المتصوفة في صورة آلهة ليس شركاً

يحصر برجسون الشرك في اعتقاد الأرواح وأنها تضر وتنفع ، أما المتصوفة الذين اتحدوا بالله فأصبحوا إلهة ، فليس بشرك في نظره ، بل تأليههم يمثل صوراً من الإله ، ينطوي على توحيد مبطن .

موقف الإسلام من الشرك واضح وضوح الشمس ، وإنه أعظم ذنب عُصي الله به ، والجمع بين الوثنية والتوحيد كالجمع بين الماء والنار ، فطبيعة أحدهما تحارب طبيعة الآخر ، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد ، ومتى وجد التوحيد انتفى الشرك . وقد نص القرآن الكريم أن الشرك في صورة آلهة متعددة ، يقود إلى الفساد في الأرض والسماء ، (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ

وحرّم الله في كتابه الحكيم ثنائية الإله ، وأمر بتوحيده قال تعالى : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ) (124) ، كما حكم على من تصور الألوهية في عيسى ابن مريم أو ثلث الإله بالكفر ، فقال سبحانه : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ *لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (125)

ومن أعظم صفات الإله الخلق ، وكل إله غير قادر على الخلق فهو إله مزيف ، لا يستحق هذه التسمية ، ولو كان إلهاً حقاً لخلق الخلق ، وانفصل به ، وتخرج النتيجة في صورة صراع الآلهة وعلو بعضها على بعض ، (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) (126) فبما أن ذلك غير موجود على أرض الواقع ، فلا صحة لادعاء الألوهية .

وجاء الاستفهام الإنكاري في صورة أن هذه الآلهة الباطلة لم تخلق شيئاً من الأرض ، وليس لها شراكة في خلق السماوات ، فعلام تستحق الألوهية ؟ من طلب النفع ودفع الضرر؟ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا

كما ناقش القرآن تعدد الإلهة الباطلة ، وأنها غير قادرة على إتيان الضياء لكم ، وجلب الليل لترتاحوا فيه ، فلو كانت إلهة حقة لتمكنت من ذلك ، (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (128)

ودَحَضَ حجة الاشتراك في الألوهية ، بأن مقتضاها أن يسلك الشريك طريق الوصول إلى العرش ، وبما أن ذلك غير متحقق فلا صحة لادعاء الألوهية، (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُفُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) (129)

كما حكم على من يعدد الإله بالكذب والافتراء ، وهاهو إبراهيم عليه السلام يقول لقومه ، (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَفُكَّا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) (130)

ويطالب القرآن الكريم البشرية بتوحيد الإله ، وإنه واحد لا شريك له ، ولا تعدد فيه ، وإن العاقل لا يقبل إلا توحيد الإله دون

سادساً: مناقشة الإله المتصوف يحتاج إلى الإنسان كحاجة الإنسان إليه

يرى برجسون أن الإله الصوفي يحتاج إلى الإنسان ، لأنه الوسيلة التي ينفذ فيها رغبات الألوهية ، فيظهر مبتغاه في صورة ملموسة ، فالصوفي هو الإنسان الذي اتحد الإله به .

ما قاله برجسون في اتحاد الإله بالإنسان سبق مناقشته من قبل ، وأما احتياج الإله إلى الإنسان لتنفيذ مبتغاه فأمر لا يقره العقل ، ولا تقره الكتب الإلهية المنزلة من عند الله عزوجل .

فالعقل يرفض تصور الألوهية في عاجز ، سواء كان هذا العاجز إنساناً أو حجراً ، فكل ذلك غير معقول لدى العقل السليم ، لأن الاحتياج والألوهية لا يجتمعان ، فما دام محتاجاً إلى غيره فليس باله ، بل يرفض العقل السليم ألوهية من تتغير أحواله ، فهذا هو إبراهيم عليه السلام يرفض ألوهية الشمس والقمر والكوكب ، لأنها تتغير من حال إلى حال ، (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) (132)

أما كتاب الله الأخير فيقطع بأن الله ليس في حاجة إلى خلقه ، بل إن مخلوقاته محتاجة إليه ، قال تعالى رداً على اليهود في قولهم إن الله في حاجة إلى أموالهم ، (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (133)

وقال في نفي الانتفاع من لحوم القربان ، (لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (134)

وقال عز من قائل في استغنائه عن مخلوقاته عموماً ، وحاجتهم إليه ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (135)

فالألوهية والاحتياج ضدان لا يجتمعان ، فمن كان محتاجاً فليس بإله ، ومن كان إلهاً ففيه الغني المطلق ، الذي لا يحتاج إلى شيء ، وغيره محتاجٌ إليه .

سابعاً : مناقشة أسس الدين المتحرك

ما قاله برجسون في أسس الدين المتحرك ، جزء مما تحتاج إليه الإنسانية للتوحد والاجتماع ، ولا ينحصر فيها التوحد ، بل إن أعظم أسس التَّوْحُدِ : التَّوْحُدُ العقيدي الذي يجمع بين البشر ، والامتثال للأخلاق الفاضلة التي تتمتع بالسماحة والمرونة .

هذا وقد جمع شرع الله الأخير كل أسس التوحد ، بما فيها :

1- غرس المحبة بين البشر التي قال بها برجسون ، فقد صح من قوله صلى الله عليه وسلم

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (136)

2- الإخاء الذي قال به برجسون ، فأمر القرآن الكريم فيه واضح ، فقد أخبر في صورة الجملة الاسمية التي تفيد الاستمرار ، وما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم الموحد (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (137)

3- أما المساواة في كل أمور الحياة التي قال بها برجسون ، فأمر ترفضه الفطرة ، إذ لا مساواة فيها ، بل تجد التفاضل والتنافس فالغناء والفقير ، والصحة والمرض ، والطول والقصر ، والعامل وصاحب العمل ، والحاكم والرعية ، كل ذلك يخبر بعدم المساواة ، وإن وجد شيء من ذلك فهو الوجه المكشوف ، وعند دراسة العمق تجد الفوارق بين الأفراد الذين تراهم متساويين في الظاهر .

لذا ينصح العقلاء أن ينظر الإنسان إلى ما دونه ، لا إلى ما فوقه ، في أمور المال والحياة والمعيشة والمكانة الاجتماعية ... ، فإن ذلك أدعى للراحة من أن ينظر إلى من يعلوه .

ويبدو أن برجسون قد أدرك أن أسسه لا تؤدي إلى إقامة مجتمع بشري موحد ، فأخبر بأن ذلك المجتمع لم يوجد في التاريخ الإنساني ، وتكهن بعدم وجوده في المستقبل ، لأن الأسس التي

هذا وقد أخبر القرآن الكريم أن الصراع بين الحق والباطل قائم ، وسيستمر إلى يوم القيامة لإمهال الشيطان إلى ذلك اليوم ، قال تعالى : (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَأَنْبِئَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. (138)

إن لا مكانة للتوحد بين البشر أجمعين ، وإنما توحد نسبي تحت مظلة الحق أو الباطل ، فيزداد أفراد هذه المظلة في حقبة ، والآخرون في حقبة لاحقة ، وستظل الحال على هذه الصورة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وكل الذي يمكن القول به في التوحد النسبي : أن مظلة الحق تلبى ما يحتاج إليه أفراد مظلة الباطل في صورة نفي الظلم ، وإعطاء الحقوق ، وضمان الأمن، وتأمين المعيشة لجميع أفراد المجتمع الإنساني بمختلف دياناتهم ونوازعهم الفكرية.

وأعظم ما يقدمه الدين بنوعيه : الساكن والمتحرك لأتباعه هو المعتقدات ، لأنها تخطيط لأمر الحياة اليومية وتنظيمها ، قبل إيقاعها في صورة عمل ملموس ، لذا تُعدُّ التصورات العقلية بمثابة الأساس للحياة العملية ، وقد تحدث برجسون عن أبرز هذه المعتقدات التي تشكل الأعمدة للبناء ، وقد

الخاتمة والنتائج

لكل جهد ثمرة ونتيجة ، يصل إليها صاحب الجهد ، وقد توصلت في جهدي هذا إلى النتائج التالية :

1. للتوجيه أثر ملموس ، يبدأ الإنسان في اكتسابه منذ صباه ويستمر حتى الممات، وإن الأم والأب والمدرسة ومكان العمل من الموجهات الأساسية في الحياة .
2. وُلد برجسون وترعرع وشب وشاخ في عصر استقر فيه إنكار وجود الله ، وإن جهوده كلها تصب في مساندة هذا الاستقرار .
3. ما تفرزه الكلمات اللغوية من المفاهيم والمعاني قسمان : قسم ثابت لا يقبل التغيير، وآخر يقبل التغيير ، وينحصر فيما يستجد من أعمال الحياة.
4. الملكة الخرافية (الوهم) مرض فطري في الإنسان ، قلما يسلم منه أحد، غير قادر على إنشاء الدين والإله ، بل هو اعتلال صحي يحتاج فيه المصاب إلى العلاج ، وخير علاجه العودة إلى الله عزوجل .

5. الأصل في الإنسان التوحيد ، والدين البرجسوني الساكن انحراف عن هذا الأصل ، ولعلاجه يرسل الله الأنبياء والرسل .
6. استغلال الناس بظل التجمع وتماسك الأفراد ، وإثارة نشاطهم ، في الدين الساكن لا ينحصران فيه ، لوجود الأمرين في العديد من المخلوقات كالطيور والحيوانات البرية التي لا تدين بدين .
7. الدين المتحرك (التصوف) ليس حلاً لمشاكل الحياة ، بل إنه يمثل الانزواء والفرار من المشاكل ، لذا لا يتبناه عامة البشر .
8. اتحاد الإنسان بالله ، أو حلول الله فيه ، خرافة مرت عليها البشرية منذ زمن بعيد ، فلم تجد فيها حلاً لمشاكل الحياة ، بل الحل يكمن في الاعتراف بوجود الله ، وإنه المتصرف في جميع شؤون الكون ، فيجب على الإنسان حصر عباداته فيه ، دون ما سواه عزوجل .
9. المحبة والإخاء والمساواة بين البشر أمور حسنة ، إلا أن تحقيق الإنسانية لا تنحصر فيها ، بل الإنسانية لا تتحقق إلا في اتباع الدين المنزل من عند الله ، على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم .

- 1) انظر للتفصيل نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ، للدكتور زكريا إبراهيم ص 17 .
- 2) عالم فلكي بولندي عاش بين عامي 1473-1543م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 1495 .
- 3) فيلسوف ايطالي عاش بين عامي 1548 – 1600م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 363 .
- 4) عالم فلكي إيطالي عاش بين عامي 1564 – 1642 م انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 597 .
- 5) انظر نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ص 18 .
- 6) وصلت إلى هذه النتيجة من خلال قراءتي لكتب برجسون المتعددة .
- 7) انظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 345 .
- 8) انظر للتفصيل نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ص 24 – 31 .
- 9) وقد قرأته من ألفه إلى يائه .
- 10) وقد قرأته من ألفه إلى يائه .
- 11) قد قرأت كتابه هذا كاملاً ، واستشهدت به في مواضع من البحث .
- 12) رغم عرضه لهذا المنهج لم يرتضه تجاه وجود الله كما سيأتي في بحث منبع الدين ، ومنه وجود الله .
- 13) أنظر Raissa Maritain: Henri Bergson Souvenirs, in Bergson Neuchatal, 1943,p356
- 14) أنظر نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون ص 30 .
- 15) CF. La Gazette de Lausanne du 29 Ceptembar 1941 Une lettre de M me Henri Bergson
- 16) عالم بيالوجي عاش بين عامي 1809-1882 م . أنظر للتفصيل الموسوعة العربية الميسرة ص 774 .
- 17) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص 94-95 .
- 18) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص 120 ترجمة محمد خليفة التونسي .
- 19) المصدر السابق ص : 112 .
- 20) منبع الأخلاق والدين لهنري برجسون ، ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور عبد الله عبد الدائم ، ص280 .
- 21) انظر منبع الأخلاق ، ص186 .
- 22) انظر منبع الأخلاق ، ص282 وص 52 .
- 23) منبع الأخلاق ، ص187 .

- 24 (انظر منبعاً الأخلاق ، ص 196 ، 258 .
 25 (انظر منبعاً الأخلاق ، ص 293 .
 26 (منبعاً الأخلاق ، ص 138 .
 27 (منبعاً الأخلاق ، ص 258 .
 28 (سورة البقرة، آية: 31 .
 29 (سورة طه ، آية 88
 30 (سورة البقرة ، آية: 106 .
 31 (انظر منبعاً الأخلاق ، ص 101 .
 32 (منبعاً الأخلاق، ص 120 - 121 .
 33 (انظر منبعاً الأخلاق ، ص 210 .
 34 (انظر منبعاً الأخلاق ، ص 209 .
 35 (منبعاً الأخلاق، ص 210 - 211 .
 36 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 219 .
 37 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 199 .
 38 (نظر منبعاً الأخلاق، ص 220 .
 39 (منبعاً الأخلاق، ص 131 .
 40 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 212 .
 41 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 208 .
 42 (منبعاً الأخلاق، ص 148 .
 43 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 213 و 245 .
 44 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 120 .
 45 (منبعاً الأخلاق، ص 209 ، 210 .
 46 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 212 و 121 .
 47 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 271 .
 48 (منبعاً الأخلاق، ص 238 .
 49 (منبعاً الأخلاق، ص 211 .
 50 (منبعاً الأخلاق ص 211 - 212 .
 51 (منبعاً الأخلاق ص 212 .
 52 (منبعاً الأخلاق ص 287، وانظر ص 199 و 214 .
 53 (انظر منبعاً الأخلاق ص 226 و 219 .
 54 (انظر منبعاً الأخلاق ص 141 و 134 .
 55 (سورة الناس ، آية : 1- 6 .
 56 (رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ، فتح الباري ج 6 ص 336 .
 57 (سورة الشورى، آية: 13 .
 58 (سورة المائدة، آية: 3 .
 59 (سورة البقرة، آية: 132 .
 60 (منبعاً الأخلاق ، ص 219 ويعرفه في مكان آخر بقوله (التصور العقلي الذي يخدم الطبيعة بإعادة التوازن على هذا النحو هو التصور الديني) منبعاً الأخلاق، ص 141 .
 61 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 189 .
 62 (انظر منبعاً الأخلاق، ص 113 - 114 .
 63 (منبعاً الأخلاق، ص 148 .

- 64 (منبع الأخلاق، ص 135.
- 65 (منبع الأخلاق، ص 188.
- 66 (انظر منبع الأخلاق، ص 185.
- 67 (منبع الأخلاق، ص 187 و انظر ص 182.
- 68 (منبع الأخلاق، ص 179-180.
- 69 (منبع الأخلاق، ص 219 وانظر 155 و194.
- 70 (سورة الإسراء، آية: 15.
- 71 (سورة الأعراف، آية: 143.
- 72 (صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب (وداً ولا سواعاً ...) فتح الباري ج 8 ص 667.
- 73 (سورة البقرة، آية: 102.
- 74 (سورة الأعراف، آية: 115-118.
- 75 (سورة الفرقان، آية: 55.
- 76 (انظر منبع الأخلاق ، 141 و150.
- 77 (منبع الأخلاق، 113 - 114.
- 78 (انظر منبع الأخلاق، 221.
- 79 (منبع الأخلاق، 144.
- 80 (انظر منبع الأخلاق، 147.
- 81 (انظر منبع الأخلاق، 214 - 215.
- 82 (انظر منبع الأخلاق، 122.
- 83 (سورة المائدة، آية: 8.
- 84 (سورة محمد، آية: 24.
- 85 (سورة الذاريات ، آية: 21.
- 86 (سورة الجاثية آية 23.
- 87 (رواه البخاري، كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله فتح الباري ج 6 ص 81
- 88 (انظر للتفصيل منبع الأخلاق، ص 239.
- 89 (منبع الأخلاق، ص 289.
- 90 (انظر للتفصيل منبع الأخلاق، ص 228.
- 91 (منبع الأخلاق، ص 228.
- 92 (منبع الأخلاق، ص 230.
- 93 (انظر منبع الأخلاق، ص 229.
- 94 (منبع الأخلاق، ص 298.
- 95 (منبع الأخلاق، ص 333.
- 96 (منبع الأخلاق، ص 339.
- 97 (منبع الأخلاق، ص 335.
- 98 (منبع الأخلاق، ص 236 وانظر، ص 230.
- 99 (انظر منبع الأخلاق، ص 254-255.
- 100 (انظر منبع الأخلاق، ص 235.
- 101 (منبع الأخلاق، ص 237.
- 102 (منبع الأخلاق، ص 274.
- 103 (منبع الأخلاق، ص 245.
- 104 (منبع الأخلاق، ص 246.

- 105 (منبعا الأخلاق، ص 241.
- 106 (منبعا الأخلاق، ص 214.
- 107 (منبعا الأخلاق، ص 271.
- 108 (منبعا الأخلاق، ص 248.
- 109 (انظر منبعا الأخلاق، ص 49 ، 68 ، 86 ، 332 ، 252.
- 110 (منبعا الأخلاق، ص 252 - 253.
- 111 (منبعا الأخلاق، ص 104.
- 112 (انظر منبعا الأخلاق، ص 104.
- 113 (انظر منبعا الأخلاق، ص 229.
- 114 (انظر ج 21، ص 83 - 86.
- 115 (أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح .
فتح الباري ج 9 ص 104 .
- 116 (سورة الحديد، آية: 27.
- 117 (انظر الموسوعة العربية الميسرة، ص 181 - 182.
- 118 (محاضرات في النصرانية، ص 34.
- 119 (سورة المائدة، آية: 73.
- 120 (سورة الزمر، آية: 67.
- 121 (رواه الإمام أحمد في مسنده كتاب باقي مسند الأنصار باب حديث عبادة بن الصامت رقم الحديث 21648 .
- 122 (سورة الإسراء، آية: 1.
- 123 (سورة الأنبياء، آية: 22 ، 23 .
- 124 (سورة النحل، آية: 51.
- 125 (سورة المائدة، آية: 72 - 73 .
- 126 (سورة المؤمنون، آية: 91.
- 127 (سورة الأحقاف، آية: 4 - 5 .
- 128 (سورة القصص ، آية: 71 - 72 .
- 129 (سورة الإسراء، آية: 42- 43.
- 130 (سورة الصافات، آية: 85- 86.
- 131 (سورة إبراهيم، آية: 52.
- 132 (سورة الأنعام، آية: 76- 78.
- 133 (سورة آل عمران ، آية: 181.
- 134 (سورة الحج ، آية: 37.
- 135 (سورة فاطر ، آية: 15.
- 136) رواه البخاري كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فتح الباري جزء 1 ص 57 .
- 7 (13 سورة الحجرات، آية: 10
- 138) سورة الأعراف ، آية 14- 17 .

قائمة المراجع

- القرآن الكريم .
- كتب السنة
- سنن الترمذي (جامع الترمذي) للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ طبعة دار السلام ، الطبعة الثانية 1421 هـ = 2000 م .
- صحيح البخاري لإمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وإشراف الشيخ محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ومكنتها ، القاهرة 1380 هـ .
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ طبعة دار السلام ، الطبعة الثانية 1421 هـ = 2000 م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة الثانية 1398 هـ ، دار الفكر ، بيروت لبنان .
- المراجع العامة .

- الأحياء (كتاب الأحياء) المقرر للصف الثاني الثانوي الفصل الدراسي الأول ، ص 144 لمدارس المملكة العربية السعودية طبعة 1429-1430 هـ .
- الأنجيل (كتاب العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح) دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط دون تحديد مكان الطباعة ، وسنة الطباعة ، واسم المطبعة .
- بروتوكولات حكماء صهيون (الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1980 م .
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير طبعة مطابع المختار توزيع مكتبة دار التراث القاهرة دون تحديد سنة الطباعة .
- التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري : أبو الحسن إسحاق الصوري مطبعة دار البيان القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1978 = 1398 هـ .
- التوراة العبرية ، طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، دون تحديد السنة ، أو مكان الطباعة ، أو سنة الطباعة .

- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار لصفي الرحمن المباركفوري ، طبعة دار السلام ، 1424هـ = 2003 م دون ذكر المطبعة ومكان الطباعة .
- الطاقة الروحية لهنري برجسون ، ترجمة د/سامي الدروبي، الطبعة الثانية، 1963م ، دار الفكر العربي دون تحديد مكان الطباعة .
- الطاقة الروحية لهنري برجسون ، ترجمة د/ علي مقلد طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1411هـ = 1991 م .
- قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين و زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة 1368هـ = 1949م ، دون ذكر مكان الطباعة .
- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني طبعة دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى 1405 هـ = 1985 م .
- محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبي زهرة ، طبعة دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، دون تحديد سنة الطباعة ، ومكان الطباعة .
- المدخل إلى ميتافيزيقيا لهنري برجسون ترجمة الدكتور محمد علي أبو ريان ، الطبعة الثالثة 1974م ، دار الجامعات المصرية بالإسكندرية .

- مذاهب فكرية معاصرة للشيخ محمد قطب طبعة دار الشروق ، الطبعة الأولى 1403هـ = 1983 م .
- المعجم الوسيط لمجموعة إشراف عبد السلام هارون ، المكتبة العلمية طهران دون تحديد سنة الطباعة .
- منبع الأخلاق والدين لهنري برجسون ، ترجمة د/ سامي الدروبي و د/ عبد الله عبد الدائم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، طبعة 1971م دون تحديد مكان الطباعة واسم المطبعة .
- الموسوعة العربية الميسرة لمجموعة مؤلفين بإشراف محمد شفيق غربال طبعة دار الشعب ، القاهرة ، صورة لطبعة 1965 م .
- نوابغ الفكر الغربي 3 برجسون للدكتور زكريا إبراهيم ، دار المعارف ، دون تحديد السنة أو مكان الطباعة أو اسم المطبعة .

المراجع غير العربية

- 1 -Challaye Bergson Paris Editons Mellotte Collection Les nouvelle edition 1947 .
- 2 -CF. La Gazette de Lausanne du 29 Ceptembar 1941 Une lettre de M me Henri Bergson.
- 3.Cf.R.Berthelot un Pragmatisme Utilitaire. H. Bergson Paris1946 .
Energie Spirituelle: H-Bergson, Paris Editons Mellotte Collection Les-
- 4 nouvelle edition 1949.
5. Evolution Create : H . Bergson , Paris Edition 1947.
6. H. Bergson: Essai sur Les Donnees Immediates le Conscience.
7. Raissa Maritain: Henri Bergson Souvenirs, in Bergson Neuchatal, 1943
